مَنْ هُم الـصَّـعـافِـقَـة؟!

والرَّد عَلَى دَعْوَى أَنَّ الشَّيْخَ مُحَمَّد بن هَادِي يُبدِّعُ مَن يَصِفهُم بالصَّعافِقَة

كَتَبَهُ

أبو عبدالله المدني

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين



مَنْ هُم الـصَّـعـافِـقَـة؟!

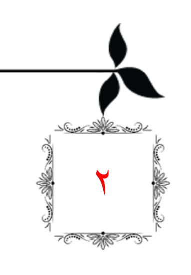
الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن سار على نهجه إلى يوم الدِّين؛ أما بعد:

فقد حدثت فتنة كبيرة بين السلفيين من قبل أناس يتسترون خلف مشايخنا الكبار، وصفهم الشيخ محمد بن هادي حفظه الله بـ (الصعافقة) في بعض محاضراته، ويقصد بهم عرفات المحمدي وعبد الإله الجهني وأشباههم ممن سلك مسلكهم.

والشيخ محمد بن هادي استشهد في إطلاق هذه اللفظة (الصعافقة) بالأثر الثابت عن الإمام عامر الشعبي رحمه الله حيث قال: "مَا جَاءَكَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخُذْهُ، وَدَعْ مَا يَقُولُ هَؤُلاءِ الصَّعَافِقَةُ".

والشيخ محمد قد فسَّر لفظ (الصعافقة) في محاضرة له منشورة قال فيها: ((وهذا يسأل عن الصعافقة؛ بالنسبة لأسماعنا جديدة؟ الصعافقة: هم الذين ليس لديهم رأسُ مال في جميع الأمور، ففي العلم لا شيء عندهم، وفي الدنيا والدراهم ولا الدنانير لا شيء عندهم، والذي يهمنا هو باب العلم، قد روي في هذا عن قتادة رحمه الله [أخطأ الشيخ محمد في نسبة الأثر إلى قتادة، والصحيح عن الشعبي رحمه الله] أنه قال: "خذوا ما جاءكم عن أصحاب رسول الله ودعوا عنكم ما جاء عن هؤلاء الصعافقة"، الذين لا علم عندهم، يريد بهم: أهل





الابتداع، والذين لا علم عندهم، فعليكم بالسنة، وعليكم بالأخبار النبوية في هذا، عليكم بأهل العلم خذوا عنهم، وأما الذي ليس لديه رأس مال فهؤلاء صعاليك، صعافقة، فكما أنَّ هذا لا مال له فهو صعفوق، فالصعافقة هم الذين لا علم عندهم، ما عندهم رأس مال في العلم، ذكرنا لكم قصة الفروج مع الديكة، فهؤلاء هم الفراريج ظنوا أنفسهم ديكة غزيري العلم، مثل الديك بعيد الصوت، يسمع على بعد مسافة بعيدة، يسمع أهل القرية جميعاً، ربما يكون ديكاً واحداً يسمعه أهل القرية جميعاً، فهكذا من عنده علم يأخذ عنه الناس جميعاً ويسمعون به ويتواردون عليه، يبلغهم خبره، يشتهر بين الناس ذكره، هذا "صاحب العلم"، أما الفروج لا أحد يعلم به، فهؤلاء "الصعافقة" هم هؤلاء الفراريج الذين لا شيء عندهم)).

ولفظ (الفروج) ورد على لسان أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فقد أخرج الإمام مالك في الموطأ وغيره عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف أنه قال: سألتُ عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم: ما يوجب الغُسل؟ فقالت: "هَلْ تَدْرِي مَا مَثَلُكَ يَا أَبَا سَلَمَةَ؟! مَثَلُ الْفَرُّوجِ، يَسْمَعُ الدِّيكَةَ تَصْرُخُ فَيَصْرُخُ مَعَهَا، إِذَا جَاوَزَ الْخِتَانُ الْخِتَانَ فَقَدْ وَجَبَ الْغُسْلُ".

قال الباجي في [المنتقى شرح الموطأ]: ((وَقَوْلُهَا: "هَلْ تَدْرِي مَا مَثَلُك يَا أَبَا سَلَمَةَ؟ مَثَلُ الْفَرُّوجِ يَسْمَعُ الدِّيكَةَ تَصْرُخُ فَيَصْرُخُ مَعَهَا" يَحْتَمِلُ مَعْنَيَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ أَبَا سَلَمَةَ كَانَ فِي زَمَانِ الصِّبَا وَقَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ حَدَّ الْجِمَاعِ يَسْأَلُ عَنْ مَسَائِلِ الْجِمَاعِ وَيَتَكَلَّمُ فِيهَا وَهُوَ لَا يَعْرِفُهَا إِلَّا بِالسَّمَاعِ مِنْ غَيْرِهِ؛ كَالْفَرُّوجِ الَّذِي يَسْمَعُ الدِّيَكَةَ الَّتِي بَلَغَتْ حَدَّ الصُّرَاخِ تَصْرُخُ فَيَصْرُخُ مَعَهَا وَإِنْ لَمْ يَبْلُغْ ذَلِكَ الْحَدَّ.

وَالثَّانِي: أَنَّ أَبَا سَلَمَةَ كَانَ صَبِيًّا لَمْ يَبْلُغْ مَبْلَغَ الْكَلَامِ فِي الْعِلْمِ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يَسْمَعُ الرِّجَالَ وَالْكُهُولَ يَتَكَلَّمُونَ فِي الْعِلْمِ فَيَتَكَلَّمُ مَعَهُمْ)).

وقال الشيخ محمد عطية سالم رحمه الله في [شرح الأربعين]: ((تعني: أنت طويلب علم صغير، وتأتي إلى الأمور الدقيقة وتسأل فيها)).

وقد يوصف بالفروج من كان كبير السنِّ وعنده شهادة دكتوراه!، قال الإمام الألباني رحمه الله في [دفاع عن الحديث النبوي والسيرة]: ((وبهذا ينتهي ما أردتُّ ذكره من الأحاديث الضعيفة والأخبار الواهية التي عثرت عليها في كتاب الدكتور البوطي وهي تبين أوضح البيان: أنَّ ما قاله في نصوص كتابه "اعتمدتُّ فيها أولاً على صحاح السنة. ثانياً على ما صحَّ من أخبار السيرة في كتبها"، لم يكن إلا لمجرد الدعاية للكتاب ولفت أنظار الناس إليه!، وفي تضاعيف الكلام عليها ما يبين أنه ليس عنده من الثقافة والمعرفة بالسنة ومصطلح الحديث وتراجم الرواة ما يمكنه من تنفيذ هذا المنهج الذي زعم أنه اعتمده في كتابه حتى ولو بالاعتماد على العلماء في ذلك وتقليدهم!، فهو لا يحسن حتى تقليدهم؛ لأنه لا معرفة له بأقوالهم، ومع ذلك فهو يحاول أن يعمل عمل الفحول منهم،





وهيهات، فما أشبهه بقول بعض السلف: "ما مثلك إلا مثل الفروج يسمع الديكة تصرخ فيصرخ معها")).

والسلفيون في هذا العصر اختلفوا في هذه الكلمة، أعني كلمة (الصعافقة)، فمنهم من أنكر إطلاقها على من كان من أهل السنة وجعلها لا تطلق إلا على المبتدعة حصراً!، ومنهم من قبلها وتوسَّع فيها على من يستحقها ومن لا يستحقها وجعل كلَّ من يُخالفه في هذه الفتنة أو يخالف الشيخ محمد بن هادي في كلامه في هؤلاء هو من الصعافقة!، ومنهم من جعل الذين يصفون أولئك بالصعافقة هم الصعافقة!، وتارة يطلقون عليهم وصف (المصعفقة)!، وبهذا أصبح السلفيون -بعد فتنة الحدادية الغلاة والمميعة الجفاة- من حيث الواقع جماعتين: (صعافقة) و(مصعفقة)!.

وتطوَّر الأمر شيئاً فشيئاً حتى أصبح البعض -من جهة الصعافقة- يُطلق أحكام التبديع على الطرف الآخر وأنهم فرقة من الفرق الضالة!، ومنهم من يُقرر أنهم يستحقون التبديع ويُعاملون كالمبتدعة في التحذير والهجر لكن لا نبدِّعهم قبل أن يُبدِّعهم عالمٌ من علمائنا!، وفي الوقت نفسه يزعمون أنَّ الشيخ محمد بن هادي يُبدِّع عرفات وعبد الإله ومن تكلَّم فيهم بوصفه لهم بالصعافقة وبتحذيره منهم، ويُنكرون هذا عليه، ويزعمون أنَّ هذه طريقة الحدادية الغلاة في التبديع والتجريح!، وهم أحقُّ بهذه الطريقة وألصق بها من غيرهم.



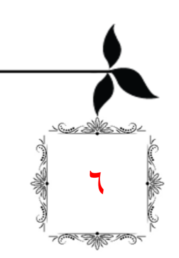
وتصنيف السلفيين إلى (صعافقة) و(مصعفقة) من التفرق المذموم في الدين ومن التنابز بالألقاب المنهي عنه في الشرع، فليس كل من خالف الشيخ محمد بن هادي وردَّ عليه أخطاءه يكون من الصعافقة، ولا كل من كان مع الشيخ محمد في التحذير أو تخطئة بعض طلاب المشايخ وفي الدفاع عنه يكون من المصعفقة، هذا التصنيف بهذه الصورة خطأ.

ومن باب توضيح الأمر في لفظة (الصعافقة) لابد من البيان والتفصيل:

أولاً/ من جهة اللغة:

قال الخليل الفراهيدي في كتاب العين في مادة (صَعفق): ((الصَّعافِقةُ: قومٌ يَشْهَدون السُّوق للتِّجارة ليستْ لهم رُؤوس الأموالِ، فإذا اشتَرَى التُّجَّار شيئاً دخلوا معهم، الواحدُ صَعْفَقٌ وصَعْفَقيٌّ، ويُجمَعُ على صَعافيق وصَعافِقة... ويُقَالُ: الصَعْفُوق اللِّصُّ الخَبيث، والصَّعْفُوقُ: اللئيم من الرجالِ، وكان آباؤهم عَبيداً فاستَعْربوا، قَالَ العَجَّاج: من آلِ صَعْفُوقٍ وأَتباعٍ أُخَرْ، قَالَ أعرابيٌّ: هؤلاء الصَّعافِقة عندَكِ وهم بالحجاز مسكنهم، وهم رُذالةُ النَّاس)).

وقال ابن منظور في لسان العرب مادة (صَعفق): ((الصَّعْفَقةُ: ضَآلةُ الجسم، والصَّعافِقةُ قوم يشهدون السُّوقَ وليست عندهم رؤُوس أَموال ولا نَقْدَ عندهم، فإِذا اشترى التُّجَّارُ شيئاً دخلوا معهم فيه، واحدهم صَعْفَقٌ وصَعْفَقِيّ وصَعْفُوق، وهو الذي لا مال له، وكذلك كل من ليس له رأْس مال، وفي حديث

الشعبي: "ما جاءك عن أَصحاب محمد فخُذْه، ودَعْ ما يقول هؤلاء الصَّعافِقةُ"، أَراد أَنَّ هؤلاء ليس عندهم فِقْهٌ ولا علم بمنزلة أُولئك التجار الذين ليس لهم رؤوس أَموال، وفي حديثه الآخر: أَنه سئل عن رجل أَفطر يوماً من رمضانَ، فقال: "ما تقول فيه الصَّعافِقةُ؟"، وقال الأَزهري: وقال أَعرابيٌّ: ما هؤلاء الصَّعافِقة حوْلَك؟ ويقال: هم بالحجاز مسكنهم، والصَّعْفُوق: اللئيمُ من الرجال، والصَّعافِقةُ: رُذالةُ الناس، والصَّعافِقةُ قومٌ كان آباؤهم عَبيداً فاسْتَعْرَبُوا، وقيل هم قوم باليمامة من بقايا الأُمَم الخالية ضلّت أَنسابهم، واحدهم صَعْفَقِيٌّ، وقيل هم خَوَلٌ هناك، ويقال لهم بنو صَعْفوق وآل صَعْفوق، قال العجاج: من آل صَعْفُوق وأَتْباعٍ أُخَرْ... من طامِعِين لا يَنالون الغَمَرْ، وقيل إِنه أَعجمي لا ينصرف للعجمة والمعرفة، ولم يجئ على فَعْلول شيءٌ غيره)).

وقال أبو منصور الأزهري في تهذيب اللغة مادة (صعفق): ((وقال الأصمعي: الصعافقة: قوم يحضُرون السوق للتجارة ولا نَقْد معهم ولا رؤوس أموال، فإذا اشترى التجار شيئاً دخلوا معهم، والواحد صَعْفَقِيٌّ، وقال غير الأصمعي: صَعْفَقٌ، وكذلك كل من ليس له رأس مال، وجمعهم صعافقة وصعافيق.

وقال أبو النجم:

يوم قدرنا والعزيز مَن قدر ... وآبت الخيل وقضّينا الوطر ... من الصعافيق وأدركنا المِئَرْ

أراد أنهم ضعفاء ليست لهم شجاعة ولا قوة على قتالنا، وكذلك أراد الشعبي: أنَّ هؤلاء لا علم لهم ولا فقه، فهم بمنزلة التجار الذين ليس لهم رؤوس أموال)).

ثانياً/ في كلام السلف:

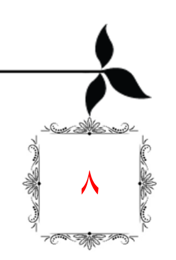
ورد عن الإمام أبي عمرو عامر الشعبي رحمه الله -الذي توفي بعد المئة بقليل- عدة آثار في إطلاق لفظة (الصعافقة)، وفي بعض هذه الآثار ما يدل على مراده منها، نذكر جملة منها:

١- عن يونس بن أبي إسحاق السبيعي قال: قال لي الشعبي: "مَا مَجْلِسٌ أَجْلِسُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْمَسْجِدِ إِذْ كُنَّا نَجلِسُ فِيهِ إِلَى أَبِيكَ، ثُمَّ نَتَحَوَّلُ إِلَى الرَّبِيعِ بْنِ خُثَيْمٍ فَيُقْرِينَا الْقُرْآنَ، حَتَّى نَشَأَ هَؤُلَاءِ الصَّعَافِقَةُ، وَاللهِ لَئِنْ أَجْلِسَ عَلَى كُنَاسَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَجْلِسَ مَعَهُم".

٢- عن صالح بن مسلم قال لي الشعبي: "إِنَّمَا هَلَكْتُمْ حِينَ تَرَكْتُمُ الْآثَارَ وَأَخَذْتُمْ بِالْقِيَاسِ، لَقَدْ بُغِّضَ إِلَيَّ هَذَا الْمَسْجِدُ، بَلْ هُوَ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْ كُنَاسَةِ دَارِي؛ مَعْشَرَ الصَّعَافِقَةِ".

علَّق عليه الإمام ابن بطة رحمه الله في الإبانة الكبرى فقال: "وَالصَّعَافِقَةُ: هُمُ الَّذِينَ يَغْدُونَ إِلَى الْأَسْوَاقِ فِي زِيِّ التُّجَّارِ، لَيْسَ لَهُمْ رُءُوسُ أَمْوَالٍ، إِنَّمَا رَأْسُ مَالِ أَحَدِهِمُ الْكَلَامُ، وَالْعَامَّةُ تُسَمِّي مَنْ كَانَ هَذَا مُهَلِّساً".





وعن صالح بن مسلم أيضاً قال: "كنتُ مع الشعبي ويدي في يده أو يده في يدي، فانتهينا إلى المسجد، فإذا حماد في المسجد وحوله أصحابه، ولهم ضوضاء وأصوات، فقال: والله لقد بغَّضَ إليَّ هؤلاء هذا المسجد حتى تركوه أبغض إلي من كناسة داري، معاشرَ الصعافقة، فانصاع راجعاً ورجعنا".

وفي لفظ: "قلتُ: من هم يا أبا عمرو؟ قال: (هؤلاء الرأيتيون، أرأيتَ، أرأيتَ)".

وفي لفظ: "قلتُ: من هم يا أبا عمرو؟ قال: الآرائيون"، قال: "ومنهم الحكم وحماد وأصحابهم".

وفي لفظ: "لقد بغَّض إليَّ هؤلاءُ الآرائيون هذا المسجد".

وفي لفظ: "من يا أبا عمرو؟ قال: هؤلاء الرأييون؛ أصحاب الرأي، قيل: مَنْ في المسجد؟ قال: الحكم بن عُتيبة ونظراؤه، ثم مضى".

وفي لفظ: "فقلت: ممَّ يا أبا عمرٍو؟، قال: هؤلاء الرَّائيون أصحاب الرَّأي، لما أعيتهم أحاديث رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم أن يحفظوها يجادلون".

وفي لفظ: "وَفِي الْمَسْجِدِ يَوْمَئِذٍ قَوْمٌ رُؤوسُ أَمْوَالِهِمُ الْكَلَامُ".

٣- ذكر البغوي في شرح السنة: قَالَ الشَّعْبِيُّ: "مَا جَاءَكَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخُذْهُ، وَدَعْ مَا يَقُولُ هَؤُلاءِ الصَّعَافِقَةُ".

علَّق عليه الإمام البغوي رحمه الله فقال: "قِيلَ: الصَّعَافِقَةُ: الَّذِينَ يَدْخُلُونَ السُّوقَ بِلا رَأْسِ مَالٍ، وَقِيلَ: هُمْ رُذَالَةُ النَّاسِ، أَرَادَ الَّذِينَ لَا عِلْمَ لَهُمْ، فَهُمْ بِمَنْزِلَةِ التُّجَّارِ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ رَأْسُ مَال".

٤- عن عبد الله بن أبي السَّفر قال: "وكان الشعبي يقول إذا مرَّ عليهم: ما يقول هؤلاء الصعافقة؟، ما قالوا لك برأيهم فبُل عليه، وما حدَّثوك عن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فخذ به".

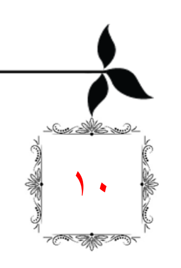
٥- عَنْ مَالِكِ بْنِ مِغْوَلٍ قَالَ: لَقِيتُ الشَّعْبِيَّ فَقَالَ: "مَا حَدَّثُوكَ عَنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخُذْ، وَمَا حَدَّثُوكَ سِوَى ذَلِكَ فَأَلْقِهِ فِي الْحُشِّ".

وفي لفظ: «مَا حَدَّثُوكَ عَنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَقْبِلْ عَلَيْهِ، وَمَا حَدَّثُوكَ عَنْ رَأْيِهِمْ فَأَلْقِهِ فِي الْحُشِّ".

٦- عَن رَزِينٍ عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ: رَأَيْتُهُ جَاءَ إِلَى جَنَائِزِ رِجَالٍ وَنِسَاءٍ، فَقَالَ: "أَيْنَ الصَّعَافِقَةُ؟! أَوْ مَا تَقُولُ الصَّعَافِقَةُ؟!" يَعْنِي الَّذِينَ يَطْعَنُونَ، قَالَ: ثُمَّ جَعَلَ الرِّجَالَ مِمَّا يَلُونَ الْإِمَامَ وَالنِّسَاءَ أَمَامَ ذَلِكَ بَعْضُهُمْ عَلَى إِثْرِ بَعْضٍ"، ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّ ابْنَ عُمَرَ فَعَلَ ذَلِكَ بِأُمِّ كُلْثُومٍ وَزَيْدٍ، وَثَمَّ رِجَالٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ قَالَ: أُرَاهُ ذَكَرَ حَسَناً وَحُسَيْناً.

وقوله: "يَعْنِي الَّذِينَ يَطْعَنُونَ"، لأنَّ هؤلاء كانوا ينالون من الإمام الشعبي رحمه الله لقلة بضاعته في الرأي والقياس زعموا، قال صالح بن صالح الهمداني:





"وقف الشعبي على قوم وهم ينالون منه ولا يرونه، فلما سمع كلامهم قال لهم: هنيئاً مريئاً غَيرَ داءٍ مُخامِرٍ ... لِعزَّةِ مِن أعراضِنا ما استَحلَّتِ".

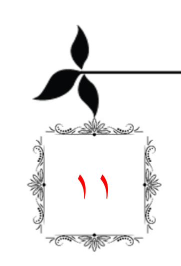
٧- وأخرج عبد الرزاق في مصنفه عن سُفيان بن عُيينة عَنْ شَيْخٍ مِنْ بَجِيلَةَ قَالَ: سَأَلْتُ الشَّعْبِيَّ عَنْ رَجُلٍ أَفْطَرَ يَوْماً فِي رَمَضَانَ؟ قَالَ: «مَا يَقُولُ فِيهِ الْمَغَالِيقُ»، قَالَ: ثُمَّ قَالَ الشَّعْبِيُّ: «يَصُومُ يَوْمًا مَكَانَهُ، وَيَسْتَغْفِرُ اللَّهَ»، وفي لفظ: "المفاليق"، وفي لفظ: "الصعافقة".

قال ابن منظور في "لسان العرب": ((وفي حديث الشعبي وسُئل عن مسأَلة فقال: "ما يقول فيها هؤلاء المَفَاليقُ؟"، هم الذي لا مال لهم، الواحد مِفْلاق، كالمَفَاليس، شبه إفلاسهم من العلم وعدمه عندهم بالمَفَاليس من المال)).

وقال الزمخشري في "الفائق": ((وعن الشعبي أنه سئل عن رجل أفطر يوماً من رمضان؟ فقال: "ما يقول فيه الصعافقة"، وروي: "ما يقول فيه المفاليق"، وهم الذين يفلقون أي يجيئون بالفلق، وهو العجب والداهية من جواباتهم فيما لا يعلمون)).

وأما المغاليق فمن الغلق، وانغلق الكلام عليه: إذا صَعُبَ عليه الكلام أو استعسر أو استعصى أو استشكل فلم يفتح عليه، وتوقف ولم يتكلَّم بعده.





قال الشيخ محمد بن هادي: ((فإنَّ صغيرَ السنِّ لا علم عنده، ويبدو جهلُه إذا اصطكَّت عليه المحافلُ، ويأتي بالعجب والبجر، ويريدُ الناسَ أن يدافعوا عن كل ما يقول فيَضِل ويُضِل)).

ومن كلام إمامين من أئمة أهل السنة (الإمام ابن بطة) و(الإمام البغوي) في تفسير كلام (الإمام الشعبي) وأنه على ما يقتضيه المعنى اللغوي من (لفظة الصعافقة) وأنهم قوم يتشبَّهون بالتجار وليسوا منهم، وأنَّ مراد الإمام الشعبي أنهم قوم يتشبَّهون بالعلماء وليسوا منهم، وهكذا فسَّر أهل اللغة كلام الإمام الشعبي بهذا، يتبيَّن لنا صحة إطلاق لفظ الصعافقة على المتشبهين بالعلماء والمشايخ وليسوا منهم.

فالصعافقة -في كلام علماء السلف وعلماء اللغة- تُطلق على قوم ما عندهم علم أصلاً، أو ما عندهم علم راسخ ولا فقه مؤصَّل، ومع هذا يزاحمون العلماء الكبار ويناطحون المشايخ الراسخين في النوازل العظام والحكم على الأشخاص والتصدر في الدعوة والتدريس والتوجيه، فهم قوم يتشبَّهون بالعلماء والمشايخ وليسوا منهم.

قال الشيخ محمد بن هادي: ((أحذِّركم من الصعافقة، فإنهم لا خير فيهم، وقد كثروا في هذا العصر، وفي هذا الزمان، في كل مكان، لا كثَّرهم الله، "يتشبَّهون بأهل العلم وليسوا منهم"، احذروهم غايةَ الحذر، ولا ترتبطوا بهم،

ولا ترجعوا إليهم، ولا تثقوا بهم، ولا تأخذوا عنهم، ولا تربطوا الناسَ بهم؛ فإنَّ هؤلاء عاقبتهم شرٌّ والله، احذروهم كلَّ الحذر)).

وهذا العلامة ابن القيم رحمه الله ذكر في قصيدته "الكافية الشافية" أنه سيمتحن -بعد أعداء السنة من أهل البدع- بأربعة أعداء من أهل الضغائن: الفظ الغليظ والجاهل المتعالم!، والحاسد الحاقد الذي يُحرِّف النصوص ويدفعها بالكذب والكتمان!، والأعمى المقلِّد الذي يحتج بقال فلان!، والأتباع الدهماء وفضلة الناس الذين لا دين لهم ولا علم!، ثم بعدها قال رحمه الله:

((هذي بضاعةُ ضاربٍ في الأرضِ ... يبـغي تاجراً يبتاعُ بالأثمانِ

وجد التُّجارَ جميعَهم قد سافروا ... عن هذه البلدانِ والأوطانِ

إلَّا الصعافقة الذين تكلَّفوا ... أن يتجروا فينا بلا أثمانِ

فهم الزبونُ لها فبالله ارحموا ... من بيعةٍ من مفلسٍ مديانِ)).

فلم يجعل ابن القيم رحمه الله الصعافقة من أهل البدع، وإنما قومٌ ظهروا بعد أن قُبِضَ العلماء أو رحلوا من الديار!، وهم قومٌ يتجرون بالدِّين بلا أثمان!، قومٌ (مفاليس)، ما عندهم مال، وهذا هو المعنى اللُّغوي والمعنى الذي أراده الإمام الشعبي رحمه الله وأراده الشيخ محمد بن هادي حفظه الله.

والعجيب أنَّ بعض الناس جاء إلى هذه الأبيات وجعل الصعافقة من الأعداء الأربعة الذين أشار إليهم العلامة ابن القيم رحمه الله في أول كلامه، وهذا غلطٌ بيِّنٌ، فتأمَّل.



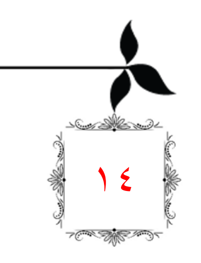

وكون هذه الكلمة (الصعافقة) أُطلقت على المتشبِّهين بالعلماء وطلبة العلم وليسوا منهم في الحقيقة، لا يمنع من إطلاقها على أهل التنطع والغلو والفتن، وعلى أهل البدع والضلال والزيغ، وعلى أهل الكفر والشرك والإلحاد، من باب بيان جهلهم وتعالمهم وضحالة علمهم الذي أدَّى بهم إلى ما هم عليه من انحراف، وبهذا استعملها الشيخ سليمان بن سحمان رحمه الله في عدة مواضع من كتبه.

فلفظ (الصعافقة) يُطلق على أهل البدع ويطلق أيضاً على أهل الشرك بمعنى أنهم جهلاء وأنهم مفاليس ما عندهم علم زيادة على بدعتهم أو شركهم، فانتبه لهذا أيها السلفي ولا يخدعنَّك الصعفوق.

ثالثاً/ من هم الذين أطلق عليهم الإمام الشعبي رحمه الله وصف (الصعافقة)؟!

لفظ (الصعافقة) -كما مر- في "اللغة" يُطلق على من يزاحم التجار في الأسواق ولا مال عنده، واستعمل كناية في باب العلم على الذين يزاحمون كبار العلماء أو يطعنون بهم ولا علم عندهم، وهو (لفظ مأثور) عن أحد أئمة السلف وهو الإمام عامر الشعبي رحمه الله، وإنما أطلقه على (بعض كبار فقهاء أهل السنة) في الكوفة في ذلك الزمان، ممن توسَّع في باب الرأي والقياس وقصَّر في علم الحديث والآثار كحماد بن أبي سليمان والحكم بن عتيبة وأصحابهم، وهؤلاء طلاب الإمام إبراهيم النخعي رحمه الله الذي كان بينه وبين الإمام الشعبي رحمه





الله مودة وثناء، فالذين أطلق عليهم الإمام الشعبي رحمه الله هذا الوصف في زمانه هم الذين توسَّعوا في (الرأي والقياس) وقلَّت بضاعتهم في (الأحاديث والأسانيد والآثار)، ومن أجل ذلك ردوا بعض الأحاديث والآثار، والنخعي منبسط في (القياس)، والشعبي منبسط في (الآثار).

جاء في [تاريخ دمشق] لابن عساكر:

((كان إبراهيم النَّخَعي صاحبَ قياس، والشعبي صاحب آثار، وكان الشعبي منبسطاً، وكان إبراهيم منقبضاً، فإذا وقعت الفتوة انقبض الشعبي وانبسط إبراهيم)).

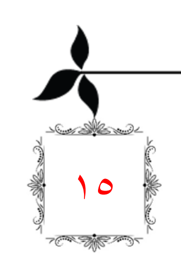
وأيضاً جاء فيه:

((قال حماد بن زيد: "ما كان بالكوفة رجل أوحش ردًّاً للآثار من إبراهيم؛ وذلك لقلة ما سمع من حديث النبي صلى الله عليه وسلم، ولا كان بالكوفة رجل أحسن اتباعاً ولا أحسن اقتداء من الشعبي؛ وذلك لكثرة ما سمع)).

وجاء في [الطبقات] لابن سعد:

((عن ابن عون قال: أتيتُ الشعبي بعد موت إبراهيم النخعي، فقال لي: أكنتَ فيمن شهد دفن إبراهيم؟ فالتويتُ عليه!، فقال: "والله ما ترك بعده مثله"، قلتُ: بالكوفة؟، قال: "لا بالكوفة ولا بالبصرة ولا بالشام، ولا بكذا، ولا بكذا"، زاد محمد بن عبد الله: "ولا بالحجاز")).





وجاء فيه أيضاً:

((عن ابن أبجر قال: أخبرتُ الشعبيَّ بموت إبراهيم، فقال: "أحمد الله، أما إنه لم يخلف خلفه مثله"، وقال: "وهو ميتاً أفقه منه حياً".

وجاء عن ابن شبرمة: لما مات إبراهيم جعلوا يقولون: "قال إبراهيم" و"قال إبراهيم"، فقال الشعبي: "هو ميتاً أفقه منه حياً")).

و(حماد بن أبي سليمان) و(الحكم بن عتيبة) من كبار طلاب النخعي:

جاء في الجرح والتعديل لابن أبي حاتم عن سفيان بن عيينة رحمه الله: "ما كان بالكوفة بعد إبراهيم والشعبي مثل الحكم وحماد".

وجاء في [سير أعلام النبلاء] للذهبي:

((قال سفيان بن عيينة: ما كان بالكوفة مثل الحكم وحماد بن أبي سليمان.

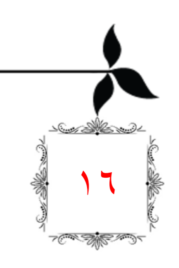
وقال أحمد بن عبد الله العجلي: كان الحكم ثقة ثبتا فقيها، من كبار أصحاب إبراهيم النخعي، وكان صاحب سنة واتباع.

وعن معمر قال: كان ابن شهاب الزهري في أصحابه بمنزلة الحكم في أصحابه)).

وجاء في ترجمة [حماد بن أبي سليمان]:

(("وتَفقَّه بإبراهيم النخعي، وهو أنبل أصحابه، وأفقههم، وأقيسهم، وأبصرهم بالمناظرة والرأي".





"عن عبد الملك بن إياس الشيباني قال: قلتُ لإبراهيم النخعي: من نسأل بعدك؟ قال: حماد".

"وقال شعبة: كان حماد صدوق اللسان، لا يحفظ الحديث")).

فالذين وصفهم الإمام عامر الشعبي رحمه الله بـ (الصعافقة) كـ (حماد بن أبي سليمان) و(الحكم بن عتيبة) وأصحابهم، كانوا من فقهاء أهل السنة في الكوفة، ولم يُنكر عليه أحد من أهل العلم في زمانه:

أخرج علي بن الجعد في [مسنده] عن عبد الرحمن ابن أبي ليلى قال: كان الشَّعبيُّ يقول: "ما قالتْ الصعافقة ما قال الناس، يعني: الحكم بن عُتيبة" انتهى.

وأخرج ابن سعد في [طبقاته] عن صالح بن مسلم قال: كنتُ مع الشعبي ويدي في يده، فانتهينا إلى المسجد، فإذا حماد في المسجد وحوله أصحابه، ولهم ضوضاء وأصوات، قال: فقال: "والله لقد بغَّض إليَّ هؤلاء هذا المسجد حتى تركوه أبغض إلي من كناسة داري؛ معاشر الصعافقة"، فانصاع راجعاً ورجعنا.

وأخرج ابن عبد البر في [جامع بيان العلم وفضله] عن صالح بن مسلم قال: سمعت الشعبي يقول: والله لقد بغَّض هؤلاء القوم إليَّ المسجد حتى لهو أبغض إليَّ من كناسة داري، قلتُ: من هم يا أبا عمرو؟ قال: الآرائيون، قال: ومنهم الحكم وحماد وأصحابهم.



وفي [تاريخ دمشق] لابن عساكر: قال صالح بن مسلم: لقيتُ الشعبيَّ بالسُّدة، فمشيتُ معه حتى حاذتنا أبواب المسجد، فنظر إليه، فقال: "الله يعلم لقد بغَّض إلي هؤلاء هذا المسجد". قلت: من يا أبا عمرو؟ قال: هؤلاء الرأييون؛ أصحاب الرأي. قيل: من في المسجد؟ قال: الحكم بن عُتيبة ونظراؤه. ثم مضى.

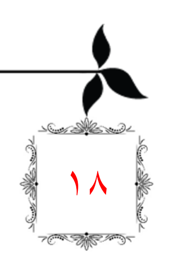
وقد أخرج الإمام ابن بطة رحمه الله في [الإبانة الكبرى] أنَّ الإمام الشَّعْبِيَّ رحمه الله قال: ((مَا مَجْلِسٌ أَجْلِسُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْمَسْجِدِ إِذْ كُنَّا نَجْلِسُ فِيهِ إِلَى أَبِيكَ، ثُمَّ نَتَحَوَّلُ إِلَى الرَّبِيعِ بْنِ خُثَيْمٍ فَيُقْرِينَا الْقُرْآنَ، حَتَّى نَشَأَ هَؤُلَاءِ الصَّعَافِقَةُ، وَاللهِ لَئِنْ أَجْلِسَ عَلَى كُنَاسَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَجْلِسَ مَعَهُمْ)).

وقال: ((إِنَّمَا هَلَكْتُمْ حِينَ تَرَكْتُمُ الْآثَارَ وَأَخَذْتُمْ بِالْقِيَاسِ، لَقَدْ بُغِّضَ إِلَيَّ هَذَا الْمَسْجِدُ، بَلْ هُوَ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْ كُنَاسَةِ دَارِي مَعْشَرَ الصَّعَافِقَةِ، [قال ابن بطة:] وَالصَّعَافِقَةُ: هُمُ الَّذِينَ يَفِدُونَ إِلَى الْأَسْوَاقِ فِي زِيِّ التُّجَّارِ، لَيْسَ لَهُمْ رُءُوسُ أَمْوَالٍ، إِنَّمَا رَأْسُ مَالِ أَحَدِهِمُ الْكَلَامُ، وَالْعَامَّةُ تُسَمِّي مِنْ كَانَ هَذَا مُهَلِّسًا)).

وكان يقول الشعبي -كما في [طبقات ابن سعد]-: إذا مرَّ عليهم، ما يقول هؤلاء الصعافقة؟، ما قالوا لك برأيهم فَبُلْ عليه، وما حدَّثوك عن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فخذ به.

وفي هذا دليل على أنَّ (الصعافقة) لم يُطلقها الشعبي على أهل البدع!، وإلا كيف يأمر بأخذ العلم عنهم إذا حدَّثوه في "المسائل الفقهية" عن الصحابة، ويُعرض عنهم إذا قالوا بالرأي؟!





فلما أطلق الإمام الشعبي رحمه الله على حماد والحكم وأصحابهم ونظرائهم وصف الصعافقة لم يكونوا مبتدعة، بل كانوا من (كبار فقهاء أهل السنة في الكوفة)، وإنما وصفهم بهذا لقلة بضاعتهم في الحديث والأثر.

رابعاً/ هل الذين وصفهم الشعبي بالصعافقة كانوا مبتدعة مرجئة أو من أهل الكلام؟!

بعض الناس في هذه الفتنة يحاول أن يلوي الكلام ويصرفه عن حقيقته حتى يُثبت دعوى أنَّ (لفظ الصعافقة) لا يُطلق إلا على مبتدعة!، وأنَّ الذين وصفهم الشعبي بالصعافقة كانوا مبتدعة فعلاً، يفعلون ذلك من خلال أحد أمرين:

الأول/ أنَّ الشَّعبي إنما أنكر عليهم ذلك من أجل بدعة الإرجاء، وأنهم مرجئة الفقهاء!.

الثاني/ أنَّ الرأي الذي كانوا عليه هو الرأي الباطل الذي أفسد الناس في باب الاعتقاد!، وهو علم الكلام المأخوذ من الفلاسفة ومنطق اليونان!، واحتجُّوا بكلام ابن بطة المتقدِّم: "إِنَّمَا رَأْسُ مَالِ أَحَدِهِمُ الْكَلَامُ"، وفي بعض روايات أثر الشعبي: "وَفِي الْمَسْجِدِ يَوْمَئِذٍ قَوْمٌ رُءُوسُ أَمْوَالِهِمُ الْكَلَامُ".

فأما **(دعوى الإرجاء)**، فإنما تكلَّم به حماد في آخر حياة الإمام إبراهيم النخعي الذي توفي في سنة ست وتسعين، ولهذا هجره وتكلَّم فيه؛

- قال عمران بن أبان: سَمِعْتُ شريكاً يقول: "لما أحدث حماد ما أحدث، قال إبراهيم: لا يدخل عليَّ حماد".

- وقال الفضل بن موسى: حَدَّثَنا شريك عَن أَبِي حمزة ميمون قال: "قال لنا إبراهيم: لا تدعوا هذا الملعون يدخل عليَّ، يعني حماد بن أبي سليمان حين تكلَّم في الإرجاء".

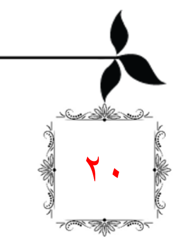
- وقال منصور بن أبي مزاحم: حَدَّثَنا شريك عَن أَبِي حمزة قال: "سَمِعْتُ إبراهيم واستراب بأمر حماد فقال: لا يدخل عليَّ هذا".

- قال النضر بن شميل: "قال ابن عون: عجباً لحماد يذهب فيشي بذر إلى إبراهيم، ثم يدخل في الإرجاء!، وما كلَّم ابن عون حماداً من رأسه كلمةً بعد ما أظهر، قلتُ: ما أظهر؟ قال: الإرجاء، لقيه في الطريق فأعرض عنه، على مودة كانت بينهما معروفة، قالوا: متى كانت؟ قال: ليالي إبراهيم".

- وقال خلف بن خليف عَن أَبِي هاشم قال: "أتيتُ حماد بن أبي سليمان، فقلتُ: ما هذا الرأي الذي أحدثتَ؟ لم يكن على عهد إبراهيم!، فقال: لو كان إبراهيم حياً لتابعني عليه، يعني الإرجاء".

فهذه الآثار تثبت أنَّ حماد بن أبي سليمان أظهر الإرجاء في آخر ليالي الإمام إبراهيم النخعي رحمه الله، وبعده ببضعة سنوات توفي الإمام الشعبي رحمه الله، وكان حماد يعتقد أنَّ حياة شيخه النخعي لو امتدت أطول لأقنعه بهذا الرأي وتبعه عليه!، وإنما كان حماد يُنكر على النخعي وأئمة السلف الاستثناء في الإيمان،





أي قول أحدهم: أنا مؤمن إن شاء الله، ويعدُّ قائله شكاكاً في إيمانه، وأنَّ الواجب الجزم وهو أن يقول: أنا مؤمن حقاً.

فلو كان (الرأي) الذي أنكره الإمام الشعبي رحمه الله على حماد ووصفه وأصحابه بسببه بالصعافقة ما يزعمه البعض أعني الإرجاء!، لصرَّح بإنكار هذه البدعة عليهم كما صرَّح به شيخ حماد الإمام النخعي رحمه الله وصرَّح غيره من الأئمة الذين عاصروا حماداً، بل كان الأئمة يثنون على حماد، وإنما تركوه بعدما أظهر الإرجاء، وذكروا ذلك في كلامهم كما في كتب الرجال والجرح والتعديل والتراجم والتاريخ والسير.

فلماذا لم يشر الإمام الشعبي ولو مجرد إشارة إلى بدعة الإرجاء إن صح زعمكم؟!

ولماذا لم يصفهم بـ (المرجئة) كما وصف الأئمة حماداً ومن وافقه بالمرجئة بعد أن أظهروا هذه البدعة؟!

لماذا وصفهم بـ (الصعافقة) و(الآرائيين) و(أصحاب الرأي) وأصحاب (أرأيتَ أرأيتَ)؟!

وما علاقة (ترك الآثار والأخذ بالقياس) الذي أنكره الإمام الشعبي على من وصفهم بالصعافقة ببدعة الإرجاء؟!

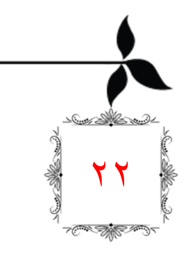
وما علاقة "صفة صلاة الجنازة على جمع من الرجال والنساء" و"حكم إفطار يوم من رمضان متعمداً" -هذه المسائل التي تحدَّى بها الإمام الشعبي من وصفهم بالصعافقة- بالإرجاء؟!

وأما (**دعوى علم الكلام**)، وأنَّ الإمام الشعبي رحمه الله أنكر على من وصفهم بالصعافقة لأنهم كانوا يخوضون في علم الكلام!، فهذه دعوى عريضة تخالف واقع الأمر.

فنشأة علم الكلام كانت في عهد المأمون، يقول الشهرستاني في "الملل والنحل": ((ثم طالع بعد ذلك شيوخُ المعتزلة كتبَ الفلاسفةِ حين نُشرت أيام المأمون، فخلطت مناهجها بمناهج الكلام، وأفردتها فناً من فنون العلم وسمتها باسم الكلام؛ إما لأنَّ أظهرَ مسألةٍ تكلَّموا فيها وتقاتلوا عليها هي "مسألة الكلام" فسمي النوع باسمها، وإما لمقابلتهم الفلاسفة في تسميتهم فناً من فنون علمهم بالمنطق، والمنطق والكلام مترادفان. وكان أبو الهذيل العلاف -شيخهم الأكبر- وافق الفلاسفة في أنَّ الباري تعالى عالم بعلم وعلمه ذاته وكذلك قادر بقدرة وقدرته ذاته!، وأبدع بدعاً في الكلام والإرادة وأفعال العباد والقول بالقدر والآجال والأرزاق كما سيأتي في حكاية مذهبه)).

كما أنَّ علم الكلام ظهر في البصرة ولم يظهر في الكوفة!، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في "المجموع": ((حَدَثَ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ: الرَّأْيُ، والْكَلَامُ،





والتَّصَوُّفُ، وَحَدَثَ التَّجَهُّمُ وَهُوَ نَفْيُ الصِّفَاتِ وَبِإِزَائِهِ التَّمْثِيلُ، فَكَانَ جُمْهُورُ الرَّأْيِ مِنْ الْكُوفَةِ إذْ هُوَ غَالِبٌ عَلَى أَهْلِهَا، مَعَ مَا كَانَ فِيهِمْ مِنْ التَّشَيُّعِ الْفَاحِشِ وَكَثْرَةِ الْكَذِبِ فِي الرِّوَايَةِ، مَعَ أَنَّ فِي خِيَارِ أَهْلِهَا مِنْ الْعِلْمِ وَالصِّدْقِ وَالسُّنَّةِ وَالْفِقْهِ وَالْعِبَادَةِ أَمْرٌ عَظِيمٌ، لَكِنَّ الْغَرَضَ أَنَّ فِيهَا نَشَأَ كَثْرَةُ الْكَذِبِ فِي الرِّوَايَةِ، وَكَثْرَةُ الْآرَاءِ فِي الْفِقْهِ، وَالتَّشَيُّعُ فِي الْأُصُولِ، وَكَانَ جُمْهُورُ الْكَلَامِ وَالتَّصَوُّفِ فِي الْبَصْرَةِ)).

وإنما جاء وصف من أطلق عليهم الإمام الشعبي بالصعافقة: أنَّ رأس أموالهم الكلام، لأنَّهم يحفظون المسائل والفروع ويُنظِّرون الأصول ويفترضون المسائل، ومدار هذا كله مجرد كلام لهم أو عن غيرهم من مشايخهم، ليس فيه أحاديث ولا آثار، هذا هو المراد من عبارة "رأس أموالهم الكلام"، وليس المراد بها علم الكلام، فتنبَّه.

ثم كيف يزعم هؤلاء أنَّ الإمام الشعبي رحمه الله كان يرى تبديع من وصفهم بالصعافقة وهو يُصرِّح بأخذ العلم عنهم إذا حدَّثوا عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وهم علماء ذاك العصر، وترك الأخذ عنهم إذا حدَّثوا عن آرائهم؟ فهل كان الإمام الشعبي يعمل بقاعدة الموازنات؟!

وعلى القول أنَّ حماداً أظهر الإرجاء ولهذا أنكر عليه الإمام الشعبي!، فهل أظهر الحكم بن عُتيبة الإرجاء أيضاً؟! ومن حكم عليه بالبدعة وهو صاحب سنة واتباع كما تقدَّم في ترجمته؟!

والإمام الشعبي رحمه الله إنما أنكر على حماد (والحكم) وأصحابهم الذين كانوا يتحلَّقون في المسجد!.

ومَن مِن أهل العلم جعل (الصعافقة) فرقة من الفرق الضالة؟! وفي أي كتاب نجد ذلك؟!

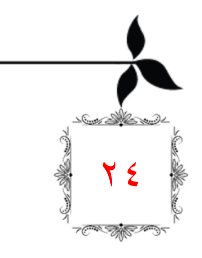
فمن خلال الآثار السابقة وهذه الإلزامات والأسئلة يظهر لنا بوضوح:

أنَّ (الرأي) الذي كان يُنكره الإمام الشعبي رحمه الله على حماد والحكم وأصحابهم ونظرائهم هو الرأي الفاسد في (مسائل الفقه المعارض للآثار)، والذي بسببه رُدَّت أحاديث وآثار كثيرة، وهذا بالطبع أمرٌ منكر أنكره بشدة أئمة السلف على إبراهيم النَّخَعي شيخ حماد والحكم وأصحابهم وعلى أبي حنيفة وعلى عامة أصحاب الرأي في الكوفة، لكن لم يُبدِّعوهم بهذا، بل كانوا يعدونهم من فقهاء أهل السنة ومن مذاهب أهل السنة ويذكرون كلامهم في كتب الفقه الخاصة بأهل السنة.

ونحن نسأل هؤلاء الذين يزعمون أنَّ من أطلق عليهم الإمام الشعبي رحمه الله وصف الصعافقة هم مبتدعة أصلاً، من سبقكم بتفسير كلام الشعبي بهذا؟!

وقد تقدم كلام إمامين من أئمة أهل السنة الإمام ابن بطة والإمام البغوي في تفسير كلام الإمام الشعبي على ما يقتضيه المعنى اللغوي من لفظة الصعافقة





وأنهم قوم يتشبَّهون بالتجار وليسوا منهم، وأنَّ مراد الإمام الشعبي أنهم قوم يتشبَّهون بالعلماء وليسوا منهم، وأنَّه لا علم عندهم، والمراد بالنفي علم الحديث والآثار كما تقدَّم، وهكذا فسَّر أهل اللغة كلام الإمام الشعبي بهذا، فهؤلاء هم سلف الشيخ محمد بن هادي، فمن سلفكم بتفسيركم المتقدِّم مع دعوى التبديع؟!

ونحن لا نمنع من إطلاق لفظ "الصعافقة" على أهل البدع وعبَّاد القبور كما أطلقها بعض أهل العلم، وإنما نحقق في إطلاق الشعبي لها، لأنَّ الشيخ محمد بن هادي استدلَّ بكلامه لا بكلام غيره!، والشعبي أراد به من لا علم عنده.

قال ابن الأثير في النهاية: ((فِي حَدِيثِ الشَّعْبِي «مَا جاءَك عَنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فخُذه، ودعْ مَا يَقُولُ هَؤُلَاءِ الصَّعَافِقَة»، هُمُ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ السُّوقَ بِلَا رأْسِ مالٍ، فَإِذَا اشتَرى التَّاجرُ شَيْئًا دَخَلَ معَه فِيهِ، وَاحِدُهم صَعْفَق. وَقِيلَ صَعْفُوق، وصَعْفَقِيّ، أرادَ أنَّ هَؤُلَاءِ لَا عِلْم عِنْدَهُمْ، فَهُمْ بمنْزلةِ التُّجَّارِ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ رأسُ مالٍ)).

وقد وصف الشيخ محمد بن هادي بعض الناس بـ (الصعافقة) في محاضراته ولم يُسمِّهم فقال: ((الصعافقة: هم الذين لا علم عندهم، ما عندهم رأس مال في العلم))، وقال أيضاً: ((فهكذا من عنده علم يأخذ عنه الناس جميعاً، ويسمعون به ويتواردون عليه، يبلغهم خبره، يشتهر بين الناس ذكره، هذا



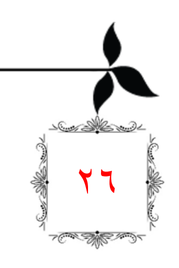


صاحب العلم، أما (الفروج) لا أحد يعلم به، فهؤلاء (الصعافقة): هم هؤلاء الفراريج الذين لا شيء عندهم)).

وبعض الناس حقاً يزاحم كبار العلماء في (مسائل النوازل الكبار) و(مسائل الجرح والتعديل) و(المسائل الخفية) و(دعاوى الإجماع) و(تخريج الأحاديث والحكم عليها) مع ضعف بضاعته العلمية وتخليطه!، أو يُحاول أن يتعالم ويظهر نفسه للناس فوق منزلته!، أو يتشبَّه بالعلماء وليس منهم!، أو يُكلِّم الناس من وراء حجاب ويتستر بدروسه ومحاضراته خلف شاشات الحاسوب!، بالإضافة إلى أنهم لا يُعرفون بدراسة علمية على أيدي المشايخ الكبار ولا بطون الكتب السلفية، وإنما يُجالسون المشايخ الكبار مجرد مجالس محدودة ولقاءات من باب التذكير في دقائق معدودة أو مناقشة مشاكل معينة في بلدة معينة أو من باب السؤال والجواب في قضية خاصة، وكذلك لا يعرفون بعلم مؤصَّل ولا فقه مسترسل ولا بدعوة سلفية نقية ولا بردود علمية رصينة في نقض أصول أهل البدع، ومع هذا يتشبَّهون بالعلماء أو يناطحونهم!، فأمثال هؤلاء يصدق فيهم وصف "الصعافقة".

وإذا عرفنا هذه المقدِّمات وفهمناها جيداً، بقي أن نجيب على السؤال الآتي:





كيف يُطلق الشيخ محمد بن هادي وصف الصعافقة، والذي يُراد به من لا علم عندهم كما قررتَ فيما سبق، على طلبة علم ودعاة معروفين عند المشايخ، يزكونهم وينصحون بهم، ولهم جهود في التدريس والكتابة، ومنهم من تخرج من الجامعة الإسلامية، ومنهم من عنده شهادة دكتوراه أو ماجستير في العلوم الدينية، فهل هؤلاء صعافقة؟!

والجواب على هذا السؤال من وجوه:

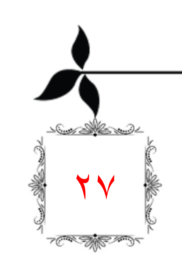
الوجه الأول/ أنَّ التزكيات والجهود ليست مانعاً من الجرح إذا ثبت بالدليل!

قال الشيخ ربيع حفظه الله: ((فقد يزكِّي الرجل -وهو فاضل- بناءً على الظاهر، ولا يَعرف حقيقةَ ما عليه القوم، فيأتي إنسانٌ يدرس كتبهم ويدرس واقعهم فيجد أنَّ هذا الذي زكَّاهم قد وقع في خطأ من حيث لا يدري، فزكَّاهم بناءً على هذا الظاهر، فهذا شيءٌ حصل للأئمة الكبار.

فكم من إنسان زكَّاه الإمامُ أحمدُ فقال تلاميذه الذين لا يصلون إلى شيء من فضله، عرفوا ما عند هؤلاء وما فيهم من قدح وما فيهم من جرح، فأسقطوهم؛ وإن كان قد زكَّاهم أحمد رحمه الله؟

وزكَّى الشافعي أناساً وجرحهم آخرون؛ وقدَّم جرح هؤلاء المفسَّر القائم على معرفة الحقيقة على أقوال الأئمة الذين زكوا بناءً على ما ظهر لهم.





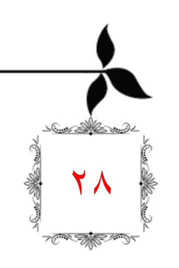
لأنه قد يأتي إنسان يعني عنده طلب علم يتظاهر بالدين والنسك والأخلاق الطيبة ويلازمك أيام، فتبنيه على الظاهر.

أنا والله زكَّيتُ أناساً في هذا العام، والله لازموني، وما شاء الله تنسَّك، وكذا، وكذا، وكذا، ثم ظهر لي جرحهم، أنا إذا صلَّى معي وزكى وكذا وذكر الله وسافر معي وإلى آخره؛ أشهدُ بناءً على ما رأيتُ، لا أزكي على الله أحداً، لكن يأتي إنسان آخر عرفه أكثر مني، كشف عنه أخطاء، وكشف عنده أشياء تقدح في عدالته، فيجرح، فيجرحه بعلم، ويبرهن على جرحه بالأدلة ويفسِّر جرحه، فيُقدَّم جرحه على تعديلي، وأنا أستسلم صراحة، قَدَّم الأدلة على جرح هذا الإنسان، أقول: خلاص الحق معك.

فجماعة جاؤوا عند عالم من العلماء، وقالوا: نحن ندعو إلى السنة، وندعو إلى التوحيد، ونحارب الشرك، ونحارب القبورية، وكذا، وكذا، رأى فيهم الصلاح، كتب إلى مَنْ يعاونهم؛ فإنهم يدعون إلى السنة، ثم راح ناسٌ معهم، خالطوهم وعاشروهم من طلابهم، فوجدوا أنَّ الحقيقة تختلف تماماً، وأنَّ هؤلاء أهل بدع، وأنهم صوفيَّة، وأنهم خرافيون، فقَدَّم الأدلة على ما يقول، فيُصدَّق، فيُقدَّم على تعديله، أو تعديل هذا العالم، هذه قاعدة مطردة مستمرة إن شاء الله للأفراد والجماعات إلى قيام الساعة؛ ما دام هذا الدين، نعم)).

وقال: ((فبعض الناس لا تزكيه أعماله ولا مواقفه، ولا تشهد له بأنه سلفي، فيلجأ إلى هذه الوسائل الدنيئة من الاحتيال على بعض الناس والتملُّق





لهم حتى يحصلوا على التزكية، ويكتفون بهذا، ويذهبون، ليتهم يكفُّون بأسهم وشرهم عن أهل الحق والسنة، فيذهبون ويتصيدون أهل السنة بهذه التزكيات!، فتكون مصيدة يضيعون بها شباباً كثيراً، ويحرفونهم عن المنهج السلفي، وأنا أعرف من هذا النوع الكثير!، والكثير الذي يسلك هذا المسلك السيء، نسأل الله العافية، وأن يوفِّقهم لأن يزكوا أنفسهم بأعمالهم، وأن يجعل من أعمالهم شاهداً لهم بالخير والصلاح وبالمنهج السلفي)).

وقال: ((يعني الضعف العلمي يؤدِّي إلى مثل هذه التفاهات، قال فلان!، قال فلان!، عندنا منهج يُميَّز به أهلُ الحق وأهلُ الباطل، فلو أنَّ أحمد بن حنبل جاء الآن وزكَّى فلاناً وفلاناً، ثم وجدنا أنَّ هذا الإنسان لا يستحق هذه التزكية من أقواله وأعماله وكتاباته وأشرطته، هل يجوز لنا أن نتعلق بما زكَّاه به ذلك الإمام ابن باز أو الألباني أو أحمد ابن حنبل أو غيرهم؟!

الجـــرح مقـــدَّم على التعديل، الجرح المفسَّر مقدَّم على التعديل المبهم، هذه القواعد لا بد من تطبيقها في ميدان الجرح والتعديل، فمثلاً زكى الألباني يوماً من الأيام فلاناً، ثم تبين له أنه لا يستحق التزكية فقال عنه: خارجي، وابن باز في يوم من الأيام زكَّى فلاناً وفلاناً، وتبين له خطأهم فقال عنهم: دعاة باطل، يأتي أهل الباطل ويشيعون تزكيته ويدفنون الجـــرح!.

لو فرضنا أنَّ ابن باز والألباني استمروا على التزكية إلى أن ماتوا؛ ما عندهم إلا هذه التزكية، هل يلزم الناس أن يأخذوا بتزكيتهم ويغمضون عيونهم ويقفلوا

عقولهم عن أخطاء فلان وفلان الذين زكَّاهم الألباني أو ابن باز؛ الأخطاء واضحة، والجرح واضح؟! فهل يجوز لمسلم أن يتعلق بتزكية فلان وفلان، والجرح واضح في هذا المزكَّى؟ الجرح واضح)).

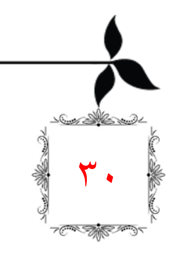
وعلى فرض أنَّ هؤلاء الذين تكلَّم فيهم الشيخ محمد بن هادي ووصفهم بالصعافقة عندهم خير كثير وجهود كبيرة في نشر العلم والرد على المخالفين!، والأمر ليس كذلك، لكن على فرض ذلك، لا يلزم منه السكوت عنهم إذا ظهرت مخالفاتهم وانكشفت جهالاتهم وبان أمرهم، وما يُغني عنهم الخير الكثير والجهود الكبيرة.

قال الشيخ ربيع حفظه الله في مقالة "قاعدة نصحح ولا نهدم عند أبي الحسن": ((وماذا فعل عليٌّ والصحابة رضوان الله عليهم بالخوارج وعندهم الخير الكثير كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يخرج في هذه الأمة قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم يقرأون القرآن لا يجاوز حلوقهم (أو حناجرهم) يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية".

قال فيهم: "يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية".

وقال فيهم: "قوم يتلون كتاب الله رطباً لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود".





وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم: "سيخرج في آخر الزمان قوم أحداث الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من خير قول البرية يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فإذا لقيتموهم فإنَّ في قتلهم أجراً عند الله يوم القيامة".

وقال فيهم: "هم شر الخلق أو من شر الخلق".

وقال فيهم: "يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد" انظر صحيح مسلم (٢/ ٧٤٣-٧٤٧).

هؤلاء على منهج أبي الحسن فيهم خير، وعندهم زلة أو زلات، سبحان الله!، أصحاب محمد يحقرون صلاتهم مع صلاتهم وصيامهم مع صيامهم ويقرأون كتاب الله غضاً.

إنَّ الخير الموجود في هؤلاء كثير جداً ومع هذا هم شر الخلق لما فيهم من البدع ولما فيهم من الفتن والشر، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتلهم وأخبر بأن لمن قتلهم أجراً عند الله يوم القيامة، وأجمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على قتلهم تنفيذاً لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفعاً لشرهم، وهذا حق وعدل وعمل صالح وجهاد في سبيل الله، لكنه على قواعد أبي الحسن هدم للخير الذي عندهم وهدم لأشخاصهم.





إنَّ الذين يدافع عنهم أبو الحسن قد يكون في كثير منهم من هو أقل خيراً من هؤلاء الخوارج وأكثر شراً وفتنة)).

وقال الشيخ محمد بن هادي حفظه الله في كلمة له منشورة بعنوان "إذا تغير العبد فما قيمة السابقة": ((فإذا تَغيّر العَبْد ما قيمةُ السَابِقة؟! قد ينتقِل إلى الرِدّة عياذاً بالله من ذلك؛ "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ" الآيات، فالقلبُ ضَعيفٌ قد يَرْتَدُّ.

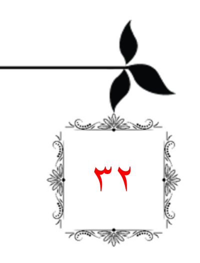
أضربِ لكم مِثالًا -وقد ضربتُه مرَّات لبعضِ إخوانِكم في سنواتٍ سابِقة- عبدُ الله القَصيمي، جَرّدَ سيف الإيمان في الردِّ على المحاربين للدعوةِ السلفية، دعوة الإمام المجدِّد المجاهد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب.

فـ (الحُسام الماحِق) و(الضياءِ الشَّارِق) و(صِراعٌ بين الإسلام والوثنيّة)، حتى مُدِحَ وقَرَّضَ له في هذا الكتاب عددٌ من كبار العلماء، وقيل فيه: "صراعٌ بين إسلامٍ وكُفْرٍ يقومُ به القَصيمِيُّ الشُجاعُ..." إلى آخره، و(البروق النَّجدية لاكتساح الظلمات الدجوية)، وقل ما شئتَ من كتبه العظيمة في هذا الباب.

وفي الأخير خُتِمَ له بسوء!، تَرَكَ هذا كلَّه، وحُكِم عليه بالرِّدة، وجاء بالضلالات، إذ ألَّفَ كتابه (الأغلال).

على هذه القاعدة الخبيثة الملعونة نقول له جهود سابقة!، نَصَر الدعوة السلفية!، كُتبه هذه موجودة في الرَّد على أعدائها!، لا، لابُدَّ أن يكون "وَمَا بَدَّلُواْ





تَبْدِيلاً"، أمَّا الذي يُبدِّل ويبيع دينه بعرضٍ من الدُّنيا قليل فهذا لا عِبرة به، يكون اليوم سنِّياً وغدًا بِدعياً، ولو كان من تلاميذ كبار العلماء!، الواجب أن يُبَيَّن حالُه.

(وَاصِلُ بن عَطَاء) -أنا أسألكم- تلميذ من؟ أجيبوا، في حَلَقةِ من؟ ما لكم لا تجيبون؟! تلميذ من؟ الحَسَن البَصري، وفي الأخير (اعْتَزَلَنا وَاصِلْ)، فصار رأس المُعْتَزِلَة؛ لماذا؟ لأنَّ الحسن رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ابنَ أَبي الحَسَنْ البَصْري: سُئل عن صاحب الكَبيرة السؤال الآتي: هو في النارِ وإلا مُسلِم؟ مُؤمنٌ ولا كَافِر؟ فَسَكَت الحَسَن يتأَمَّل، فَالرَجُل بادَرْ إلى الإجابة، وَقَال: "هُوَ فِي مَنْزِلَة بين المنزِلَتين، لا مُسْلِم ولا كَافِر"!، فين نضعه؟! أين؟!، فأساءَ الأدب بالتَّقدُّم بين يدي الشُّيوخ الراسخين، ولم يُوفَّق لِلصَواب في الجَواب، حَيْث جاء بما يُضادُّ القرآنَ المبين وحديثَ سَيد المرسلين، ثم بعد ذلك أحدث الشَّقَّ، فتنحَّى ناحيةً من المسجد وانعزل بثُلَّةٍ معه، ومن هنا أُطلِقَ عليهم اسم (المُعتَزِلَة)، مَا نَفعهُ أنهُ تِلميذُ الحَسَن البَصرِي!.

فالعبرة معشر الأحبة؛ بالثَّباتِ على الحقِّ والهُدى، أمَّا من بدَّلَ وغيَّر فلا عِبرة به، ويُرَدُّ عليه.

أما حِفْظُ السَّابِقةِ له: إذا كان الخلافُ فيما يسُوغُ فيه الخلاف.

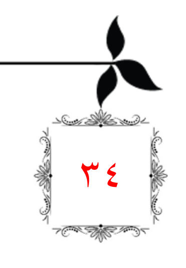
أمَّا أن يَهدِم أصول السُّنَّة والإسلام، وينْصُر أهلَ الأهواء والبدع، ويُدافع عنهم، أو يعتَذِرَ لهم، أو يُهوِّن من شأنهم، ورُبما حَارَبَ أهلَ السُّنّة الرَّادِّين عليهم، فهذا لا كرامة لَهُ، ولو كان تلميذاً لمشايخ الإسلام!.

لا عيب على مشايخ الإسلام به، لا يَضُرُّهم هذا، مَن أحسَن فَلِنَفْسِهِ، وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَا؛ "وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ"، "وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ"، وَلَا يَجْنِي جَانٍ إِلَّا عَلَى نَفْسِهِ، "وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ"، كل هذه الآيات دالّة على هذا المعنى.

فليُعلم -أيها الأحبَّة- أنَّ هذه الشُّبهة التي الآن يأتوننا بها ليُلبِّسوا بها على السَّلفيين شُبهةٌ داحضّة ولله الحمد، كتابُ الله يدحضُها، وسنةُ رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تدحَضُها، وقول الصحابة يدحضها، وعمل سلف الأمة وأقوالهم المأثورة تدحضها، وإنما يريد هؤلاء الدفاع عن أنفسهم، وهيهات، فإنَّ دينَ الله منصورٌ، وعند كُلِّ زلةٍ قائمٌ لله يقوم بنصرة دينه، فلتُحْذَر هذه المقالة ولا يُسْمَع إلى مُنْشِئها، ولا إلى مُبديها، ومن يُعيدها، ويرويها، فإنها مَدْخَلُ شرٍّ على أهل السُّنَّة، وعلى طلبة الحديث وأنصار الحديث، نسأل الله جَلَّ وَعَلا أن يعافينا وإياكم)).

ومن نظر إلى عاقبة (هاني بن بريك) الذي كان رأساً من رؤوس هؤلاء الذين وصفهم الشيخ محمد بن هادي بالصعافقة، كيف كان؟ وأين أصبح الآن؟ عرف صدق كلام الشيخ محمد، نسأل الله عزَّ وجلَّ أن يثبتنا على الهدى وأن يختم لنا بالحسنى.





الوجه الثاني/ أنَّ الدراسة الجامعية والشهادات ليست معياراً على العلم!

قال الشيخ ابن باز رحمه الله في محاضرة له: ((كثيراً من الناس تساهلوا في هذا الأمر وصاروا قضاةً ومدرسين وهم لا يعرفون العقيدة السلفية لا يعرفون العقيدة الصحيحة، تساهلوا في الأصل، في علم العقيدة، وتهاونوا في إعطائهم حقه والدراسة والتمحيص وإزالة الشبه، وصاروا دكاترة وهم صفر في العقيدة!، بل دكاترة ما هم فقط مدرسين بل دكاترة، أخذوا الشهادة العالية والماجستير والدكتوراه وهو صفر في العقيدة!، صفر ما يعرف شيئاً في العقيدة!، على عقيدة الجاهلية عبادة القبور والتعلق على الأموات؛ لأنهم ما درسوا العقيدة كما ما ينبغي!، ولا درَّسها لهم أساتذتهم الذين أخذوا عنهم!، وأخذوا صفراً في هذا الباب)).

وقال الشيخ الألباني رحمه الله: ((فقد كشف بذلك كلِّه: أنَّ هذه الشهادات العالية وما يسمونه بالدكتوراه لا تعطي لصاحبها علماً وتحقيقاً وأدباً)).

وقال رحمه الله: ((وبهذه المناسبة فإني أنصح القراء الكرام بأن لا يثقوا بكل ما يكتب اليوم في بعض المجلات السائرة أو الكتب الذائعة من البحوث الإسلامية، وخصوصاً ما كان منها في علم الحديث، إلا إذا كانت بقلم من يوثق بدينه أولاً، ثم بعلمه واختصاصه فيه ثانياً، فقد غلب الغرور على كثير من كتاب العصر الحاضر، وخصوصاً من يحمل منهم لقب "الدكتور"، فإنهم يكتبون فيما ليس من اختصاصهم وما لا علم لهم به... فاحذروا أيها القراء أمثال هؤلاء)).

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: ((وذلك أنه مع الأسف في الوقت الحاضر صار المقياس في كفاءة الناس هذه الشهادات!، معك شهادة توظَّف وتولَّى قيادة على حسب هذه الشهادة، ممكن يأتي إنسان يحمل شهادة دكتوراه فيولَّى التدريس في الكليات والجامعات وهو من أجهل الناس!، لو جاء طالب في الثانوية العامة لكان خيراً منه، وهذا مشاهد، يوجد الآن من يحمل شهادة دكتوراه لكنه لا يعرف من العلم شيئاً أبداً!؛ إما أنه نجح بغِش، أو نجح نجاحاً سطحياً لم يرسخ العلم في ذهنه!، لكن يوظَّف لأنَّ معه شهادة دكتوراه، يأتي إنسان طالب علم جيد هو خير للناس وخير لنفسه من هذا الدكتور ألف مرة، لكن لا يوفَّق، لا يُدرِّس في الكليات، لماذا؟ لأنه لا يحمل شهادة دكتوراه!)).

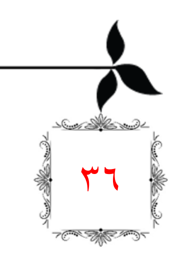
وقال الشيخ مقبل رحمه الله في كتاب [المخرج من الفتنة] ص١٧٣: ((إني أنصح كل من رزق فهماً، وتوسَّم من نفسه أنَّ الله ينفع به الإسلام والمسلمين، وكانت به غَيرة على دين الله؛ ألا يصدَّه طلب الشهادة عن العلم النافع، فكم من شخص عنده دكتوراه في الفقه الإسلامي وهو لا يفقه شيئاً؟!

وكم من شخص عنده دكتوراه في الحديث وهو لا يفقه حديثاً؟!

فهذه الشهادات تؤهِّل كثيراً من الناس لمناصب لا يستحقونها!، وماذا يغني عنك لقب دكتور وأنت جاهل في شرع الله؟)).

وسُئل الشيخ صالح الفوزان حفظه الله: هل يكفي لمن أراد تعليم الناس أمور دينهم أن يحمل شهادة جامعية؟ أم لا بدَّ له من تزكيات العلماء؟





فكان جوابه: ((لا بدَّ من العلم، ما كل من حمل شهادة يصير عالماً، لا بدَّ من العلم والفقه في دين الله، والشهادة ما تدلُّ على العلم!، قد يحملها وهو أجهلُ الناس!، وقد لا يكون عنده شهادة وهو من أعلم الناس، هل الشيخ ابن باز معه شهادة؟!، هل الشيخ ابن إبراهيم؟!، هل الشيخ ابن حميد؟!، هل هم معهم شهادات؟!، ومع هذا هم أئمة هذا الوقت.

فالكلام على وجود العلم في الإنسان والفقه في الإنسان؛ لا على شهاداته ولا على تزكياته، ما يعتبر هذا، والواقع يكشف الشخص؛ إذا جاءت قضية أو حدثت مُلِمَّة تبين العالم من المتعالم والجاهل)).

ومن الغرائب أنَّ البعض يُنكر بشدة على الشيخ محمد بن هادي وصفه لأصحاب الشهادات أولئك بضحالة العلم، لكنه في الوقت نفسه يصف الشيخ محمد بن هادي بأنه ما عنده علم وهو دكتور في الحديث وشهد له العلماء الكبار بالعلم والفضل وتشهد له دروسه ومجالسه بذلك، بل جماعة من هؤلاء أعني أصحاب الشهادات تخرَّجوا على يديه في الجامعة الإسلامية!، فهل هذا من العدل والإنصاف؟!

والشيخ ربيع حفظه الله قال كما في [أسئلة إذاعة ابن أبي زيد القيرواني] بتاريخ الأحد ١١ جمادى الأولى ١٤٣٩هـ: ((الذين يطعنون في إخوانهم بأنهم صعافقة هم الصعافقة))، وفيهم من خريجي الجامعات الإسلامية ومن عنده



شهادة ماجستير أو دكتوراه في هذه الجامعات أو عنده دعوة معروفة في بلده وفيهم مشايخ كبار.

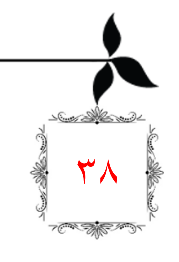
الوجه الثالث/ أنَّ مَن تكلَّم فيهم الشيخ محمد بن هادي ووصفهم بالصعافقة يعرفهم جيداً

فقد كانوا يجلسون في بعض دروسه ومجالسه الخاصة ويتقربون إليه، وكان بعضهم (عرفات ومحمد غالب وعبد الإله ومهند) طلاباً عنده في الجامعة الإسلامية، يعرف مستواهم جيداً، ثم لما خالفهم في توجهاتهم في بعض النوازل والرجال، ونصحهم بترك إثارة الفتن وترك الجرح والتعديل والإفتاء بالنوازل والمسائل الكبار للمشايخ في المدينة، تواصوا عليه وتناصروا على إبعاده عن الساحة السلفية بالكذب والتلبيس والتحريش بين المشايخ، ولكن هيهات.

ومن أمثلة جهالات هؤلاء/ فواز المدخلي

فمن أشد جهالاته: دعواه أنَّ الله ليس من الأسماء الحسنى!، وكلامه بحروفه كما في الصوتية المنشورة: ((وعلى هذا فإنك تقول: الرحمن الرحيم، العليم الخبير، ونحوها من أسماء الله الحسنى، ولا تقول: "الله" من الأسماء الحسنى!، [كررها مرتين]، لأنَّ الأسماء الحسنى كلها ترجع إلى لفظ الجلالة "الله"، لكن بقية الأسماء تقول: الرحمن الرحيم العليم الخبير من أسماء الله الحسنى، ولذلك جاء في الحديث: "إنَّ لله تسعةً وتسعين اسماً"، فلم يذكر في هذا





الحديث إلا لفظ الجلالة "الله"، وأدلة هذا الاسم الكريم كثيرة في القرآن الكريم، وأول دليل البسملة بسم الله الرحمن الرحيم، الله لا إله إلا هو الحي القيوم)).

وقد سُئل الشيخ ربيع حفظه الله في صوتية مسجَّلة منشورة: مَن كثرت أخطاؤه في العقيدة هل يُدرَس عليه؟

قال: لا.

ثم قال الشيخ ربيع: مثل ايش هذه الأخطاء؟

قال السائل: مثلاً الذي يقول: "إنَّ الله ليس من الأسماء الحسنى"؟!

فضحك الشيخ ربيع وقال: الله ليس من أسماء الله الحسنى، من أي الأسماء إذاً؟!

قال السائل: الله أعلم، مثلاً يا شيخ

فقال الشيخ ربيع: "سفاهة هذه، هذا كلام خطير جداً".

وهذا الخطأ يدل على جهل فواز الفاضح لا مجرد سبق لسان صدر منه كما يدَّعي!، وقد صرَّح هو في تراجعه أنه كان يقرأ من كلام الشيخ زيد المدخلي رحمه الله في "الأفنان الندية"!، يعني: تصوَّروا أيها القراء الشرح بين يديه وأمام عينيه ومع هذا لا يُحسن الفهم له ولا يحسن القراءة منه أصلاً!.

والشيخ زيد المدخلي "صاحب الشرح" رحمه الله قال في الشرح: ((وعلى هذا فإنك تقول: الرحمن الرحيم العليم الخبير ونحوها من أسماء الله الحسنى،



ولا تقول: الله من أسماء الرحمن الرحيم))، لماذا؟ لأنَّ الله تعود إليه الأسماء الحسنى كلها، ولا يعود هو إلى اسم من هذه الأسماء.

لكنَّ فوازاً بسوء فهمه وجهله حرَّف كلام الشيخ زيد وقال: ((ولا تقول: الله من الأسماء الحسنى))!، وكررها مرتين!.

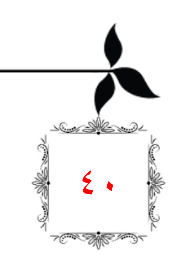
والعجيب أنه كان يذكر الاسم "الله" بـ "لفظ الجلالة" ويتحاشى من جعله من الأسماء إلا لما عاد للقراءة من كلام الشيخ زيد فقال: "وأدلة هذا الاسم الكريم كثيرة"!، فتقريره إذاً مبنيٌّ على أنَّ الله هو لفظ الجلالة وليس اسماً!، بل علَّل تقريره هذا واستدلَّ له بحديث كما تقدَّم من كلامه!، وفهم من الحديث أنَّ الله ليس من الأسماء الحسنى!، فهل هذا كلُّه من سبق اللسان؟!

ومن جهالاته: عدم التفريق بين صفة عيني (المسيح عيسى بن مريم) وعيني (المسيح الدجال)!، حيث قال بصوته: ((لماذا سُمِّي المسيح ابن مريم مسيح؟ قيل: لأنَّ إحدى عينيه ممسوحة!، وقيل: لأنه يمسح الأرض يطوف الأرض إلى أمِّه)).

قبَّح الله الجهل وأهله!

وإنما سُمِّي عيسى عليه السلام بالمسيح لأنه كان إذا مسح بيده على الأكمه والأبرص عافاه الله، فهو يبرئ الأكمه والأبرص بإذن الله، وأما الممسوح العينين فهو المسيح الكذب والأعور الدجال.





ومن جهالاته: نسبة استراق السمع للملائكة لا للشياطين!، حيث جعل الذين يسترقون السمع هم الملائكة، وزعم أنَّ من فوقهم يُلقي الكلمة المسروقة إلى من تحتهم حتى يلقيها آخرهم على لسان الساحر أو الكاهن ومعها مئة كذبة!، والله تعالى يقول: "وحفظناها من كل شيطان رجيم. إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين".

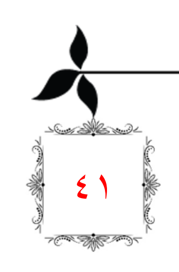
ومن جهالاته: أنه قال: ((النبيُّ صلى الله عليه وسلم رأى الجنة ودخلها، ورأى النار ودخلها!))، فزعم هذا الجهول الغشوم أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم دخل النار؟!

ومن جهالاته: أنه قال وهو يقرر صفة نزول الله عزَّ وجلَّ: ((أدلة صفة النزول هذه ثابتة في القرآن الكريم وفي السنة وفي الإجماع منها قوله تعالى: "إنا أنزلناه في ليلة القدر"))، ومعلوم أنَّ النزول هنا هو (نزول القرآن) لا (نزول الرحمن)!، ثم زعم في تراجعه أنه من سبق اللسان وأنه خطأ غير مقصود!.

ومن جهالاته: قوله: ((هل القرآن مخلوق؟ لا، القرآن منزَّل، إنا أنزلناه في ليلة القدر، فهو منزَّل غير مخلوق، فلا يجوز الاستعاذة به!))، ومعلوم أنَّ الاستعاذة بكلمات الله الشرعية جائزة بالنص.

والعجيب أنَّ دعيَّ العلم هذا قرر في أول كلامه أنَّ الاستعاذة بالمخلوق لا تجوز، وقرر أنَّ القرآن غير مخلوق، ثم تخبَّط ولم ير جواز الاستعاذة بالقرآن!، فهل الاستعاذة بغير المخلوق لا تجوز؟ أم أنَّ القرآن مخلوق؟! وأحلاهما مرٌّ!.





ولعلَّ هذا من (سبق لسانه) حقا وأنه أراد بكلامه الأخير أنَّ الاستعاذة بالمخلوق لا تجوز، أو سببه ما يحصل له من لخبطة بين (كلامه) وبين (شرح المتن) الذي بين يديه ولا يحسن التنسيق بينهما ولا القراءة منه!.

ومن جهالاته: قوله في درس له: ((إسلامُ أبي لهب فقد شاءه اللهُ عزَّ وجلَّ كوناً ولم يشأه شرعاً، أحسنت، طيب))، فتدخل أحدُ الحاضرين لإصلاح الغلط، فأصبح فواز يترنَّح، تارة يقول: لم يقع شرعاً، وتارة يقول: لم يقع كوناً، وتارة يفرُّ بالتعميم ويقول: لم يُقدَّر له، وتارة يقول: لم يقع ويسكت!، لا يقول شرعاً ولا كوناً!.

ومن جهالاته: قوله: ((وحدة الوجود، أي يقولون: الله عزَّ وجلَّ غير موجود))!.

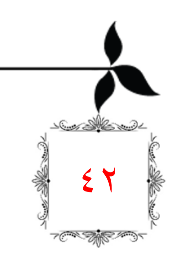
فهذه الأجوبة يصدق عليه حقاً وصف (المفاليق)!.

ومثال آخر: عبد الله بن صلفيق الظفيري

قال في شرحه للكافية الشافية لابن القيم: (([وزعمتَ أنَّ العدلَ في الأخرى بها *** رفعٌ وخفضٌ وهو بالميزانِ]، فيه إثباتُ العدل، وأنَّ الله يخفض ويرفع، [وهو في الميزانِ] أي: <u>إثباتُ صفةِ الميزانِ لله سبحانه وتعالى، إثباتُ صفةِ الميزانِ له سبحانه وتعالى</u>))، فهل الميزان صفة من صفات الله عزَّ وجلَّ؟!

وفي شرحه حديث الولاية حين جاء إلى قوله: "وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ" فقال: ((أي إنَّ الله هو الذي يبصر عنك!))، فهل هذا هو معنى الحديث؟!





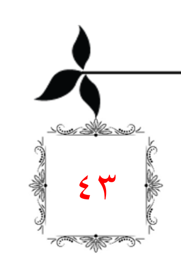
وهذه بعض جهالات القوم التي ظهرت لنا وما خفي منهم أعظم وأكثر.

والبعض يحاول أن يُصوِّر أخطاء فواز المدخلي وعبد الله بن صلفيق الظفيري من قبيل زلات اللسان، وهذا غير صحيح، فهي من جهالاتهم في العقيدة، ومثل هذا الجهل لا يصلح معه التدريس والتصدُّر.

قال الشيخ ربيع حفظه الله في مقالة: "قاعدة نصحِّح ولا نهدم عند أبي الحسن": ((انظر إلى هذا التهوين من البدع والضلالات فيسميها زلةً أو زلاتٍ، فهل هذا منطق السلف؟!، ولقد كان الرجل يزلُّ زلةً واحدةً في العقيدة على عهد السلف فيسقطه أئمة السلف والحديث، فهل هم هدَّامون مفسدون أعداء الدعوة السلفية؟!. ماذا فعل الخلفية الراشد عمر بن الخطاب بصبيغ؟ كم كان عند صبيغ من البدع والأصول الفاسدة؟ لقد جمع له هذا الخليفة الراشد بين عقوبات أربع: ١- السجن ٢- والضرب ٣- والنفي ٤- والأمر بهجرانه سنة حتى ظهر حسن توبته)).

والبعض يقول: تراجعوا عن هذه الأخطاء، ومع أنَّ في تراجعهم تلاعباً وتلبيساً وكذباً وتكذيباً ليس هذا موضع بيانه إلا أنَّ هذه التراجعات تمنع من تصدُّرهم للتدريس، وهؤلاء ما يزالون متصدرين!، وقد طالب (بندر الخيبري) -وهو من الصعافقة- فواز المدخلي بعد أن ظهرت جهالاته أن يعتزل التدريس!، وشهد شاهدٌ من أهلها، وحدث بينهم انشقاق.





وسُئل د. عبد الله البخاري: هل تنصحون بالجلوس وطلب العلم عند من كثرت أخطاؤه؟ مع العلم أنه يُخطئ ويتراجع باستمرار!.

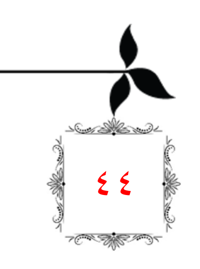
فكان جوابه بصوته: ((ذكر ابن مهدي رحمه الله عمَّن يُترك، قال: "ومن فَحُش غَلَطُهُ وكَثُرَت أخطاؤه: تُرِك"، كيف تجلس عند واحد كثرت أخطاؤه، تقول: ويتراجع باستمرار، خَلِّه يُدقِّق ويُحقِّق ويتعلَّم، ما في داعي المجالسة، مذاكرة العلم معه أو مع غيره من إخوانك، مذاكرة العلم، مدارسة العلم، بينك وبينه: هذا لا بأس به، أمَّا تجلس معه ليُدرِّسك، وأنت تشهد عليه بأنَّه كثير الأخطاء، ماذا يُدرِّسك؟! يُدرِّسك الأخطاء؟! مدارسة العلم لا حرج منها بين الإخوة، أمَّا التصدُّر للتدريس فلا)).

وهذا التصدُّر للتدريس مع الجهل وضحالة العلم هو الذي أنكره الشيخ محمد بن هادي على من وصفهم بالصعافقة، فلا وجه للإنكار عليه إذاً.

سُئل الشيخ عبيد الجابري حفظه الله: هل يُشترط في الرد على المخالف والتحذير منه أن يجتمع على التحـذير منه والكلام فيه أهل العلـم؟! أم يكفي عالم واحد فقط؟!

فكان جوابه: ((هذه قاعدة الجرح والتعديل، وملخصها أنَّ «من عَلِمَ حجَّة على مَنْ لم يعلم»، فإذا حذَّر عالمٌ من رجل، وأقام عليه الدليل بأنه من أهل الأهواء، أو من الجُهَّال الذين لا يستحقون الصَّدارة في العلم والتعليم، وكان هذا العالم معروفاً بين الناس بالسنة والاستقامة عليها وتقوى الله سبحانه





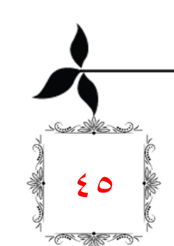
وتعالى، فإنَّا نقبل كلامه، ونحذِّر من حذَّرنا منه وإن خالفه مئات، ما دام أنه أقام الدليل وأقام البيّنة على ما قاله في ذلكم المحذَّر منه، فهذا وسعُنا، بل هو فرضنا والواجب علينا، وإلا ضاعت السنة.

فإنَّ كثيراً من أهل الأهواء يخفى أمرهم على جمهرة أهل العلم، ولا يتمكنون من كشف عوارهم وهتك أستارهم لأسباب منها: البِطانة السيئة التي تحول بين هذا العالم الجليل السني القوي وبين وصول ما يهتِك به ستر ذلك اللَّعَّاب الماكر الغَشَّاش الدسَّاس، البطانة السيئة، لا يمكن أن يصل إليه شيء، حتى أنها تحول بينه وبين إخوانه الذين يحبهم في الله فلا يستطيع أن يقرأ كلَّ شيء)).

الوجه الرابع/ أنَّ من أطلق عليهم الإمام الشعبي رحمه الله وصف الصعافقة كانوا من كبار فقهاء أهل الكوفة، ومع هذا وصفهم بالصعافقة، لأنهم ضعفاء في الحديث والأثر، ولم يُنكر عليه أحدٌ من أئمة السنة هذا، بل نقلوا كلامه مقرين له مثنين عليه من باب ذم أهل الرأي الفاسد

فلا غرابة أن يُطلق الشيخ محمد بن هادي وصف الصعافقة على من يجهل علوم الآلة ويجهل الفقه ومسائله الظاهرة والحديث وأصوله المعلومة، بل يجهل بعض مسائل العقائد الواضحة التي لا يجهلها حتى عجائز المسلمين.





ومن جهل أحدهم وعنده شهادة ماجستير (وهو من وصفه الشيخ ربيع بالمخفوف!)، أنه في امتحان (غريب الحديث) سُئل عن لفظة "أجلى الجبهة أقنى الأنف" في صفة المهدي، فرسم في ورقة الامتحان رأساً وحلق مقدمة الرأس وجانبي الرأس الأيمن والأيسر وجعل الأنف طويلاً نزولاً، وهو يضع السهام مؤشراً بها على تلك المواضع.

فهل هذا طالبُ جامعة فضلاً أن تكون عنده شهادة ماجستير؟!

ومعلوم أنَّ (أجلى الجبهة) أي منحسر الرأس من جهة مقدمته فقط فهو واسع الجبهة، و(أقنى الأنف) أي طويل ظاهر ليس بأفطس له حدب في وسطه.

والله الموفِّق.

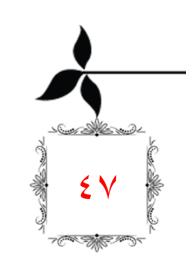
الرَّدُّ عَلَى دَعْوَى أَنَّ الشَّيْخَ مُحَمَّد بن هَادِي يُبدِّعُ مَن يَصِفهُم بالصَّعافِقَة

بعض الناس قال: محمد بن هادي يُبدِّع الذين يصفهم بالصعافقة، لأنه قال فيهم: "ملحقون بأهل الأهواء".

والجواب عن ذلك:

أولاً/ الشيخ محمد بن هادي صرَّح بصوته أنه لا يُبدِّعهم ولا يُضلِّلهم، فقال في كلمة له للسلفيين في مدينة رادس التونسية، ليلة السبت ٢٩/١١/١٤٣٩هـ: ((والله لا نضلِّلهم، بل هم عندنا معذورون؛ لأنهم جهلة))، وقال: ((ويقولون: إنَّ محمد بن هادي يُبدِّعهم، لا والله، قلتُ: "هم ملحقون بأهل الأهواء"، نعم بأفعالهم، هذه الأفعال التي يفعلونها بأهل السُّنَّة ويفعلونها بالسلفيين في كل مكان، وكم من الكلام لأهل العلم في هذا في تشبيه مَن ضَلَّ ببعض أهل الضلال، النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «ثلاث مَن كُنَّ فيه كان منافقًا»، فهل كان هؤلاء منافقين نفاق اعتقادي؟! نفاق عملي، والنفاق العملي لا يخرج صاحبه من الإيمان، فهؤلاء إذا سلكوا بعض طرائق أهل الضلال ليس معنى ذلك أنهم صاروا أهل ضلال، وهذا قد بيَّنْتُه كذا مرة، ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفِّق)).





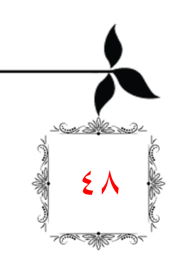
ولا ينبغي بعد هذا (التصريح الواضح) أن يُلصق بالشيخ محمد بن هادي حفظه الله تبديع الصعافقة!، وهذا الإصرار على نسبة هذا التبديع للشيخ محمد مع إعلانه البراءة منه يدلُّ على موافقة هؤلاء لأصل خبيث من أصول الحدادية.

قال الشيخ ربيع حفظه الله في "رده على فوزي البحريني": ((**الحدادية لهم أصل خبيث**، وهو أنهم إذا ألصقوا بإنسان قولاً هو بريء منه ويُعلن براءته منه، فإنهم يصرون على الاستمرار على رمي ذلك المظلوم بما ألصقوه به، فهم بهذا الأصل الخبيث يفوقون الخوارج!)).

ثانياً/ أنَّ من رجع إلى المحاضرة التي قال فيها الشيخ محمد بن هادي: "هؤلاء ملحقون بأهل الأهواء" وغيرها من محاضراته التي حذَّر فيها من أخذ العلم عن الصعافقة يعرف مراده جيداً، وأنه فرَّق بين (أهل الأهواء) وبين (جنس آخر قريبون منهم)، وفرَّق بين (أهل الأهواء) وبين (المتشبِّهين بالعلماء وطلبة العلم وليسوا منهم)، وجعل الصعافقة من (الصنف الثاني)، ويعرف أنَّه أراد بإلحاقهم بأهل الأهواء الإلحاق في (التحذير) لا في (التبديع).

فكيف يُقال بعد هذا كُلِّه أنه يجعل الصعافقة من أهل الأهواء والبدع أو أنه يُبدِّع من يصفهم بالصعافقة؟!





قال الشيخ محمد في (محاضرته نفسها في السطر نفسه)!: ((وأيضاً هناك "جنس آخر قريبون من أهل الأهواء" وإنْ تظاهروا بالسنة في هذا العصر، في عصرنا هذا، في أيامنا هذه، وهم الصعافقة، فإنهم ملحقون بأهل الأهواء)).

وقال: ((فاحذروهم معشرَ الأحبة، فإنهم والله فيهم شبهٌ كبيرٌ من هؤلاء الذين ذكرناهم قبل قليل [يعني أهل البدع والأهواء]؛ لأنكم إذا جلستم معهم لن يحدثوكم بما هم عليهم في بدُوِّ أمرهم، وإنما يتكلمون بذلك إذا استثبتوا منكم، ورأوا ميْلكم إليهم واستحكموا الأمر وعلموا من قلوبكم أنها قد اطمأنتْ إليهم، فإذا ركنتم إليهم أرسلوا إليكم سهامهم ورشقوكم بها، وافرغوا فيكم سمومهم، فاحذروهم غاية الحذر معشر الأحبة، ولا تنظروا في مواقعهم، ولا تستمعوا إلى كلماتهم، فإنهم والذي لا إله إلا هو شر على المسلمين وعلى أهل السنة عامة في كل مكان، فاحذروهم غاية الحذر، لأنهم والله لا يستفيد منهم إلا أعداء الدعوة السلفية، فإنهم قد جاؤوا بالفضائح والقبائح، وأهل السنة إذا ما اطلعوا على مقالاتهم عرفوا جهالاتهم، ولكن الذي لم يطلع لا يعرف، ومن علم حجة على من لم يعلم.

وليعلم أنهم قد أصبحوا حجة للمبطلين على أهل السنة، فأصبحوا يستدلون بهم، وعلى أنهم هم تلاميذ المشايخ!، وعلى أنهم هم الذين يتكلمون باسم المشايخ!، لا والله كذبوا ورب الكعبة، فلا تأمنوهم ولا تسمعوا لهم ولا تأخذوا عنهم، فإنَّ هؤلاء قطاع الطريق على طلبة العلم، قطاع الطريق على أهل

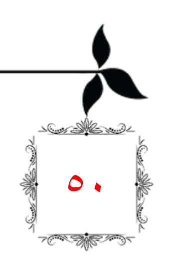
السنة، يقطعون الطريق في ما بينهم وبين أهل العلم، فاحذروا حفظكم الله "أهل الأهواء"، واحذروا من "المتشبِّهين بطلبة العلم والعلماء"، فإنهم متشبِّهون بهم وليسوا منهم في الحقيقة، هؤلاء شر وبلاء، ويوشك الله جل وعلا أن يفضحهم ويهتك سترهم ويفضح أمرهم ويظهر خزيهم على رؤوس الأشهاد، نسأل الله العافية والسلامة، فاحذروا معشرَ الأحبة من الركون إلى "هؤلاء" كما تُحذِّرون من الركون إلى "أهل الأهواء"، فإنَّ في ذلك الخيرَ الكثير، وفي ذلك دفعُ الشر بإذن الله عنكم وعن الدعوة وعن أهل السنة في كل مكان، فاحذروا وتنبهوا حفظكم الله)).

وقال: ((الصعافقة لا خير فيهم، الصعافقة لا خير فيهم، أحذِّركم من الصعافقة، فإنهم لا خير فيهم، وقد كثروا في هذا العصر، وفي هذا الزمان، في كل مكان، لا كثَّرهم الله، "يتشبَّهون بأهل العلم وليسوا منهم"، احذروهم غايةَ الحذر، ولا ترتبطوا بهم، ولا ترجعوا إليهم، ولا تثقوا بهم، ولا تأخذوا عنهم، ولا تربطوا الناسَ بهم؛ فإنَّ هؤلاء عاقبتهم شرٌّ والله، احذروهم كلَّ الحذر)).

إذاً قول الشيخ محمد بن هادي: "فإنهم ملحقون بأهل الأهواء"، أي في (الحذر منهم والتحذير) لا في (الحكم عليهم بالبدعة والتبديع)، وسياق كلام الشيخ محمد بن هادي السابق يدلُّ على هذا المعنى بجلاء.

وكلام الشيخ محمد هنا يشبه كلام العلامة ابن رجب الحنبلي رحمه الله في [الفرق بين النصيحة والتعيير] حيث قال: ((فأما أهل البدع والضلالة، ومن





تشبَّه بالعلماء وليس منهم: فيجوز بيان جهلهم وإظهار عيوبهم تحذيراً من الاقتداء بهم)).

ففرق ابن رجب رحمه الله بين (أهل البدع والضلالة) وبين (من تشبَّه بالعلماء وليس منهم)، ومع هذا حذَّر منهما جميعاً، فأين وجه الإنكار على الشيخ محمد بن هادي؟!

ويشبه كذلك كلام الشيخ عبيد الجابري حفظه الله لما سُئل: هل يُشترط في الرد على المخالف والتحذير منه أن يجتمع على التحـذير منه والكلام فيه أهل العلـم؟! أم يكفي عالم واحد فقط؟!

فكان جوابه: ((هذه قاعدة الجرح والتعديل وملخصها أنَّ «من عَلِمَ حجَّة على من لم يعلم»، فإذا حذَّر عالم من رجل وأقام عليه الدليل بأنه من أهل الأهواء أو من الجُهَّال الذين لا يستحقون الصَّدارة في العلم والتعليم، وكان هذا العالم معروفاً بين الناس بالسنة والاستقامة عليها وتقوى الله سبحانه وتعالى، فإنَّا نقبل كلامه ونحذِّر من حذَّرنا منه وإن خالفه مئات، ما دام أنه أقام الدليل وأقام البيّنة على ما قاله في ذلكم المحذَّر منه، فهذا وسعُنا، بل هو فرضنا والواجب علينا، وإلا ضاعت السنة.

فإنَّ كثيراً من أهل الأهواء يخفى أمرهم على جمهرة أهل العلم، ولا يتمكنون من كشف عوارهم وهتك أستارهم لأسباب منها: البِطانة السيئة التي تحول بين هذا العالم الجليل السني القوي وبين وصول ما يهتِك به ستر ذلك

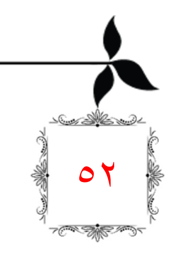
اللَّعَّاب الماكر الغَشَّاش الدسَّاس، البطانة السيئة، لا يمكن أن يصل إليه شيء، حتى أنها تحول بينه وبين إخوانه الذين يحبهم في الله فلا يستطيع أن يقرأ كل شيء)).

ثالثاً/ الشيخ محمد بن هادي حفظه الله في محاضرته المشهورة [آن لمحمد بن هادي أن يخرج عن صماته] -وهي متأخرة عن محاضرته هذه التي انتقد الشيخ ربيع حفظه الله كلامه فيها- قال: ((اليوم أقول: الآن آن لمحمد بن هادي أن يخرج عن صماته وأن ينثر شيئاً مما في كناناته، والله ما كنتُ أحبُّ ذلك، يقول ابن قدامة رحمه الله في مقدمة رسالة "تحريم النظر في كتب الكلام": "أما والله إني ما أحبُّ فضيحة أصحابنا" يعني أهل السنة والحديث، لأنَّ هذا يُشمت الأعداء، ولكن إذا كان المبطل يتمادى في باطله...)).

فكلام الشيخ محمد بن هادي هذا الذي استشهد فيه بكلام ابن قدامة رحمه الله، يدلُّ على أنه يعتقد أنَّ خصومه من أهل السنة ولكن عندهم كذب وخيانة وفجور وجهل وهوى، يستحقون التحذير بذلك منهم.

وقد سُئل الشيخ محمد بن هادي [في اتصال عبر الهاتف] عما يُنسب إليه من تبديع الصعافقة؟ فقال: "لا أرى تبديعهم وقد صرَّحتُ بهذا في إحدى محاضراتي".





رابعاً/ الشيخ ربيع حفظه الله في أحد مجالسه قال عمن وافق الشيخ محمد بن هادي: ((محمد بن هادي ومن معه الآن يلحقون بأهل البدع إن لم يتوبوا إلى الله ويتركوا الظلم))، وقال الشيخ ربيع في طريقة الشيخ محمد بن هادي: ((أخس من الحدادية))، ولما ذكروا له في أحد مجالسه الحلبي والمأربي والعرعور والحجوري والرحيلي قال الشيخ ربيع في الشيخ محمد: ((بل هو أشدُّ منهم، أشدُّ من الحدادية، لأنه قصم ظهر السلفية، هذا شوَّه الدعوة السلفية ومزَّقها في العالم)).

فهل يُقال: الشيخ ربيع يُبدِّع محمد بن هادي ومن معه؟!

والغريب أنَّ الشيخ ربيعاً قال: ((محمد بن هادي ومن معه الآن يلحقون بأهل البدع إن لم يتوبوا إلى الله ويتركوا الظلم))، والإلحاق هنا يُراد به التبديع فعلاً لأنَّ التحذير منهم قائم!، ومع هذا لم يُنكر أحدٌ منهم هذا!، لماذا؟

باؤهم تجرُّ وباء غيرهم لا تجرُّ.

بل الشيخ ربيع وصف هؤلاء بأنهم (حدادية) و(أشد من الحدادية) و(أنهم محادون لله وللرسول) و(أنهم خرجوا من السلفية بعد صدور حكم المحكمة)، ولما يقال له: الشيخ محمد بن هادي مبتدع؟ لا يجيب عن هذا السؤال!.

ولم ينقل أحدٌ عن الشيخ ربيع أنه يُصرِّح بتبديع الشيخ محمد بن هادي، مع أنَّ هؤلاء ينقلون عن الشيخ ربيع أنه يجعل الشيخ محمد بن هادي أشد من

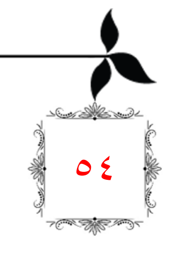
الحدادي والمأربي والحلبي وعرعور والرحيلي!، ومع هذا لا يقول هؤلاء: هذا تبديع!

خامساً/ قد يقول قائل: إذا كان الشيخ محمد بن هادي لا يُبدِّعهم كما تقولون، فلماذا يُحذِّر من أخذِ العلم عنهم؟!

والجواب: إنَّ (باب التحذير أوسع من باب التبديع)، والتحذير ليس محصوراً في أهل البدع، بل أئمة السلف وعلماء الجرح والتعديل يُحذِّرون في كلامهم من أخذ العلم أو الرواية أو الكتابة عن المجاهيل، والسفهاء، والكذَّابين، والفُسَّاق، والمدلِّسين، والضعفاء، وغير الضابطين، والمتشبِّهين بالعلماء وليسوا منهم، وهؤلاء ليسوا مبتدعة، ويُحذِّرون أحياناً من بعض الناس الذين ينتسبون للسنة إذا كان عندهم أخطاء تستحق التحذير، وأحياناً يُشدِّدون في ذلك.

قال الإمام مالك رحمه الله: ((لا يُؤخذ العلمُ عن أربعة: سفيهٍ معلنٌ بالسَّفه وإن كان أروى الناس، وصاحبِ هوى يدعو الناس إليه، ورجلٍ معروف بالكذب في أحاديث الناس وإن كان لا يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورجل له فضلٌ وصلاحٌ لا يَعرف ما يُحدِّث به)).





وقال الإمام أحمد رحمه الله: ((يُكتب الحديثُ عن الناس كلِّهم إلا عن ثلاثة: صاحب هوى يدعو إليه، أو كذَّاب، أو رجل يغلط في الحديث فيُردُّ عليه فلا يقبل)).

وقال الإمام الأوزاعي رحمه الله: ((كان هذا العلم شيئاً شريفاً إذ كان من أفواه الرجال يتلاقونه ويتذاكرونه، فلما صار في الكتب ذهب نوره وصار إلى غير أهله)).

وقال ابن حزم رحمه الله: ((لا آفة على العلوم وأهلها أضر من الدُّخلاء فيها وهم من غير أهلها، فإنَّهم يجهلون ويظنُّون أنَّهم يعلمون، ويفسدون ويقدرون أنهم يصلحون)).

وقال ابن الجوزي في [مناقب الإمام أحمد رحمه الله]: ((وقد كان الإمام أحمد بن حنبل لشدة تمسكه بالسنة ونهيه عن البدعة يتكلَّم في جماعة من الأخيار إن صدر منهم ما يخالف السنة، وكلامه ذلك محمول على النصيحة للدين)).

وقال الشيخ ربيع حفظه الله في مقاله [أهل البدع يدخلون في جرح أئمة الحديث دخولاً أولياً، وغير أهل البدع يدخلون في تحذيرهم دون شك]: ((فهذا الخليفة الراشد يُحذِّر من أناس غير مبتدعين، فمن قال: "إنَّ التحذير لا يكون إلا من أهل البدع"!، فقد أتى بما لا يعرفه المسلمون ولا آباؤهم، فهذا معاذ بن جبل رضي الله عنه الفقيه يُحذِّر من البدع ويُحذِّر من زيغة الحكيم، ويُحذِّر من

المشتهرات والمتشابهات من كلام الحكيم؛ وهذا الحكيم قد يكون إماماً من أئمة السنة والحق.

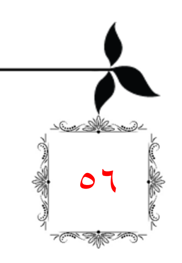
وفي كلامه رد على من يقول: "إنه لا يُحذِّر إلا من أهل البدع"، ورد على من يقول "بحمل المجمل على المفصل"، فإنَّ المجمل من المتشابهات، ولا يبعد أن يكون معاذ رضي الله عنه تلقَّى هذا الكلام من الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، فيكون له حكم الرفع)).

وقال في هامش المقال: ((الإمام أحمد وغيره لا يقصرون التحذير على أهل البدع، تجدهم أيضاً يُحذِّرون من الفسَّاق والكذابين، وحتى من الصالحين الذين ليسوا أهلاً للأخذ عنهم)).

وقال الشيخ عبيد حفظه الله في محاضرة [الأجوبة السلفية على الأسئلة القطرية]: ((إنَّ التحذير شيء والتبديع شيء آخر، التحذير لا يستوجب التبديع، قد يُحذَّر من شخص هو في نفسه طيب وحسن وسليم، لكن عنده تخليطات، يخلِّط في كلامه ما بين سنة وبدعة، فهذا ترد بدعته)).

والدكتور عبدالله البخاري يقول: ((فليس كل من رُدَّ عليه يُعتبر مبتدعًا، وليس كلُّ من حُذِّر منه يكون مبتدعًا، كما أنه ليس كل من لم يُرَد عليه يكون سُنِّيًا، وليس كل من مُسِك عن التحذير منه يكون سُنِّيا؛ فقد يكون المردود عليه سُنِّيًا، وقد يكون مبتدعًا، وقد يكون المُحذَّرُ منه مبتدعًا، وقد يكون سُنِّيًّا، عنده سَفَه، وعنده طيش، وعنده تهوُّر، لا يصلح، غير مؤهَّل، فتُحذِّر لسوء خلقه،





لطيشه، لسفهه، لعدم أهليته، فهمت؟ ونحو ذلك. فليس التَّحذير دليلا على الابتداع، وليس السكوت دليلا على السنية)).

سادساً/ وقد يقول آخر: إذا كان الشيخ محمد بن هادي لا يُبدِّعهم، فلماذا يقول: "من زكَّى الصعافقة فهو منهم"؟!

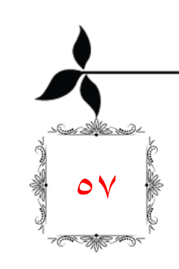
والجواب عن هذا:

الشيخ محمد بن هادي لم يُطلق هذا القول كما يزعم هؤلاء!، وإنما كان كلامُه جواباً على ما قاله الشيخ لزهر سنيقرة: أنَّ عبد الغني عويسات سجَّل صوتية يُزكِّي فيها الصعافقة الذين في الجزائر؛ وقد أظهروا هؤلاء الطعن في مشايخ الجزائر الكبار، فكان جواب الشيخ محمد: "هذا هو إذا كان يزكِّي هؤلاء فهو منهم، التزكية أبلغ من أن يمشي معهم".

والمقصود فهو منهم في هذه الفتنة وهذا المسلك الذي يسيرون عليه، فيُحذَّر منه كما يُحذَّر من أولئك، لأنه كان يعلم حالهم وزكَّاهم، بل عنده من ضحالة العلم ما عند أولئك الصعافقة الذين تكلَّم فيهم الشيخ محمد.

ولو كان الشيخ محمد بن هادي حفظه الله يقصد بها الإطلاق، لما قال بعد تلك الكلمة في محاضرة له لأهل الجزائر بتاريخ ٢٧ شوال ١٤٣٩هـ: ((ومعلوم أيضاً أننا في هذا الزمان قد كثرت هذه الدعوى والتزكيات التي إذا نظرت إلى حقيقة أصحابها وجدتها على خلاف هذه التزكيات، والمزكِّي معذور، إنما شهد

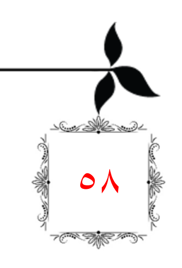




على ما عَلِم، فإذا شهد بشيء عَلِمه ثم ظهر بعد ذلك خلافُه: فالحكمُ لما ظهر دليلُه، ونقول: إنما ذاك شهد على ما عَلِم، والنبيُّ صلى الله عليه وسلم -وهو سيد الخلق صلى الله عليه وسلم- يقول: "إنما أنا بشرٌ أقضي على نحوِ مما أسمع"، وقد ثبت من كلام أهل العلم جميعاً، ومن هؤلاء شيخنا الشيخ ربيع حفظه الله أنه كان يقول: "يأتيني الرجل ويمكث عندي مدة وأزكيه على ما ظهر لي منه ثم بعد ذلك يظهر لي منه أنه على غير ذلك"، فهكذا أهلُ العلم جميعاً، ما من إنسانٍ إلا ويحصل له من التزكية من هذا القبيل، ثم يتبين بعد ذلك حال ذلك المُزَكَّى، وأنه على غير الصواب، وأنه على غير الطريق، وأنه على غير هدى، فلا يضرُّ ذلك العالم أن يكون قد زكَّى هذا الإنسان ثم ظهر للناس ورآه الناس عياناً، رأوا جهله، ورأوا انحرافه، ورأوا تخبطاته، فحينئذ يُعذر العالم، ولا يؤخَذُ بمثل هذا، بل العالم نفسه حينما يعرض عليه مثل هذا يقول: "أنا بالأمس شهدتُ بما علمتُ"، فنقول: صدق؛ وهو معذور، وإنما شهد بما علم، وليس يُكلَّف بأكثر من هذا)).

ومعلوم كلام أهل العلم في قوله تعالى: "وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ" وقوله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ"، وأنه إن وافقهم من جهة الاعتقاد فهو منهم في الحكم، وإن وافقهم من جهة العمل والسلوك دون الاعتقاد والقلب فهو شبيهٌ بهم في أفعالهم وسلوكهم ولا يكون في حكمهم.





وقد قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "إنما يماشي الرجل ويصاحب من يحبه ومن هو مثله"، وقال: "اعتبروا الناس بأخدانهم؛ فإنَّ الرجل لا يُخادِن إلا من يعجبُه نحوه"، وقال: "اعتبروا الأرضَ بأسمائِها، واعتبروا الصاحبَ بالصاحبِ".

وقال مالك بن دينار رحمه الله: "الناسُ أجناسٌ كأجناسِ الطيرِ: الحمام مع الحمام، والغراب مع الغراب، والبط مع البط، والصعو مع الصعو، وكل إنسان مع شكله".

فهذا آخر ما أردتُّ بيانه في الرد على دعوى تبديع الشيخ محمد بن هادي لمن وصفهم بالصعافقة، ولمعنى (الصعافقة) حيث وصف بها الشيخ محمد بن هادي حفظه الله أناساً يتسترون بالشيخين الشيخ ربيع والشيخ عبيد حفظهما الله، وقد ظهرت مخالفاتهم وجهالاتهم، وبانت مخططاتهم السرية وطعوناتهم في أهل العلم.

والله الموفِّق.

كتبه

أبو عبدالله المدني

الفهرس

مقدمة ١

أولاً/ من جهة اللغة ٥

ثانياً/ في كلام السلف ٧

ثالثاً/ من هم الذين أطلق عليهم الإمام الشعبي رحمه الله وصف (الصعافقة)؟! ١٣

رابعاً/ هل الذين وصفهم الشعبي بالصعافقة كانوا مبتدعة مرجئة أو من أهل الكلام؟! ١٨

بعض الناس في هذه الفتنة يحاول أن يلوي الكلام ويصرفه عن حقيقته حتى يُثبت دعوى أنَّ (لفظ الصعافقة) لا يُطلق إلا على مبتدعة!، وأنَّ الذين وصفهم الشعبي بالصعافقة كانوا مبتدعة فعلاً، يفعلون ذلك من خلال أحد أمرين: **الأول/** أنَّ الشَّعبي إنما أنكر عليهم ذلك من أجل بدعة الإرجاء، وأنهم مرجئة الفقهاء!. **الثاني/** أنَّ الرأي الذي كانوا عليه هو الرأي الباطل الذي أفسد الناس في باب الاعتقاد!، وهو علم الكلام المأخوذ من الفلاسفة ومنطق اليونان! ١٨

أما **(دعوى الإرجاء)** ١٨

أما **(دعوى علم الكلام)** ٢١

من خلال الآثار السابقة وهذه الإلزامات والأسئلة يظهر لنا بوضوح: ٢٣

س/ كيف يُطلق الشيخ محمد بن هادي وصف الصعافقة، والذي يُراد به من لا علم عندهم كما قررتَ فيما سبق، على طلبة علم ودعاة معروفين عند المشايخ، يزكونهم وينصحون بهم، ولهم جهود في التدريس والكتابة، ومنهم من تخرج من الجامعة الإسلامية، ومنهم من عنده شهادة دكتوراه أو ماجستير في العلوم الدينية، فهل هؤلاء صعافقة؟! والجواب على هذا السؤال من وجوه: ٢٦

الوجه الأول/ أنَّ التزكيات والجهود ليست مانعاً من الجرح إذا ثبت بالدليل! ٢٦

الوجه الثاني/ أنَّ الدراسة الجامعية والشهادات ليست معياراً على العلم! ٣٤

الوجه الثالث/ أنَّ مَن تكلَّم فيهم الشيخ محمد بن هادي ووصفهم بالصعافقة يعرفهم جيداً ٣٧

الوجه الرابع/ أنَّ من أطلق عليهم الإمام الشعبي رحمه الله وصف الصعافقة كانوا من كبار فقهاء أهل الكوفة، ومع هذا وصفهم بالصعافقة، لأنهم ضعفاء في الحديث والأثر، ولم يُنكر عليه أحدٌ من أئمة السنة هذا، بل نقلوا كلامه مقرين له مثنين عليه من باب ذم أهل الرأي الفاسد ٤٤

الرَّدُّ عَلَى دَعْوَى أَنَّ الشَّيْخَ مُحَمَّد بن هَادِي يُبَدِّعُ مَن يَصِفهُم بالصَّعافِقَة ٤٦

بعض الناس قال: محمد بن هادي يُبدِّع الذين يصفهم بالصعافقة، لأنه قال فيهم: "ملحقون بأهل الأهواء"، والجواب عن ذلك: ٤٦

أولاً/ الشيخ محمد بن هادي صرَّح بصوته أنه لا يُبدِّعهم ولا يُضلِّلهم ٤٦

ثانياً/ من رجع إلى المحاضرة التي قال فيها الشيخ محمد بن هادي: "هؤلاء ملحقون بأهل الأهواء" وغيرها من محاضراته التي حذَّر فيها من أخذ العلم عن الصعافقة يعرف مراده جيداً، وأنه فرَّق بين (أهل الأهواء) وبين (جنس آخر قريبون منهم)، وفرَّق بين (أهل الأهواء) وبين (المتشبِّهين بالعلماء وطلبة العلم وليسوا منهم) ٤٧

ثالثاً/ كلام الشيخ محمد بن هادي الذي استشهد فيه بكلام ابن قدامة رحمه الله، يدلُّ على أنه يعتقد أنَّ خصومه من أهل السنة ولكن عندهم كذب وخيانة وفجور وجهل وهوى، يستحقون التحذير بذلك منهم ٥١

رابعاً/ الشيخ ربيع حفظه الله قال: ((محمد بن هادي ومن معه الآن يلحقون بأهل البدع إن لم يتوبوا إلى الله ويتركوا الظلم))، وقال: ((أخس من الحدادية)) فهل يُقال: الشيخ ربيع يُبدِّع محمد بن هادي ومن معه؟! ٥٢

خامساً/ قد يقول قائل: إذا كان الشيخ محمد بن هادي لا يُبدِّعهم كما تقولون، فلماذا يُحذِّر من أخذِ العلم عنهم؟! ٥٣

سادساً/ وقد يقول آخر: إذا كان الشيخ محمد بن هادي لا يُبدِّعهم، فلماذا يقول: "من زكَّى الصعافقة فهو منهم"؟! ٥٦

الفهرس ٥٩